الائمة الاثنا عشر
سيرة وجهاد ١

الامام
علي بن ابي طالب
أمير المؤمنين (عليه السلام)

عبد الودود الامين

دار التوجيه الاسلامي
بيروت - كويت

الامام
علي بن ابي طالب
أمير المؤمنين

الائمة الاثنا عشر
سيرة وجهاد ١

الامام
علي بن ابي طالب

أميرُ المؤمنين

عبد الودود الامين

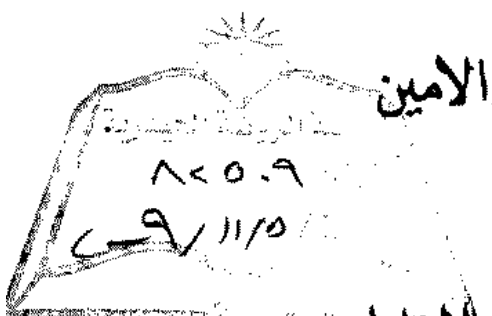

مراجعة وتقديم:
الشيخ عفيف النابلسي

دار التوجيه الاسلامي
بيروت - كويت

دار التوجيه الاسلامي
بيروت ـ كويت
بيروت خندق الفسيق ملك عسيران
هاتف : ٢٩٢٨٧٢ ص٠ ب : ١٤/٥٢٤٨
كويت ـ صليبيخات ص٠ ب ٣١٠٣٣
هاتف : ٤٢١٧٧٤ ـ ٨٧٤٨٨٣

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ٠

والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ٠

ليس صعبا ان يكتب الانسان عن علي بن ابي طالب (ع) لانه عاش الاسلام بكل ابعاده وجاهد الوثنية والالحاد بكل طاقاته فاصبح علما في الحالتين التطبيق الاسلامي الشامل ومحاربة الالحاد الشامل ٠

والكتابة عن رجل دخل في كل جوانب الاسلام تستدعي فهما تاريخيا مشبعا وثقافة اسلامية كبيرة والا فكل خلل او نقص في فهم الكاتب وسمته سوف يؤثر بشكل واضح على هذه الكتابة بل على هذه الشخصية اذ لا يجوز بمنطق الحق والعدل ان يكتب عن انسان لا

يعرف ذوق الاسلام ولا خصائصه ولا تاريخه وليس عنده الشمولية المطلوبة للفهم التاريخي وقد ابتلينا بكثير من الكتاب الذين تنقصهم هذه السعة فوجدناهم يتخبطون خبط عشواء حتى في ابسط القضايا واوضحها ·

وكاتبنا الشاب الذكي النشيط قد وفق بجهد فردي لاكمال تحصيله ومن خلال مطالعته الواسعة عن علي (ع) الممتدة الى كل شعاب الاسلام استطاع ان يكون لنفسه قيمة فكرية ترتبط أشد الارتباط بكل تاريخ علي (ع) وجهاده الطويل ·

هذا الكتاب

وهذا الكتاب الذي بين يديك ما هو الا ثمرة من ثمرات وعيه ونشاطه المتزايد في خدمة الدين الحنيف وقد وفق صاحبنا النبيه الى برمجة الكتاب برمجة تضفي على الموضوع الحي رونقا ونضارة وعمد في كل كتابته الاسلوب السهل المبسط لكي يستفيد القاريء من كل ما يقرأه وتجنب كل تعقيد في عبارته لينقذ القاريء من المتاهات والضلال وليخرج بعد المطالعة وهو يحمل فكرة عن كل ما قرأ ·

وعندما طلب الي مراجعة هذه السلسلة الخيرة التي وضعها عن حياة الأئمة (ع) رحبت وبكل سرور

كما هي عادتي في تشجيع ابنائي واخواني الشباب وحاولت مهما امكن ان ابقي للكتاب فكرته وللكاتب شخصيته وبعد اجراءات طفيفة من زيادة أو حذف ليخرج الكتاب بصورة افضل · وقد خرج الكتاب بحمد الله ـ وهو الثمرة الاولى ـ مبوبا سهلا مبسطا تذكرة للعالم وفائدة للمتعلم ·

وفق الله أخي المفضال السيد عبد الودود الامين للمثابرة في اخراج مثل هذه الكتب السهلة النافعة لعلها تكون حجرا من مدماك البناء الاسلامي الهادف ، والله من وراء القصد ·

عفيف النابلسي

البيسارية ١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ

الفصل الاول

الكعبة مولده :

هي ذي الارض المقدسة تحتضن البيت العتيق الذي تتجه اليه أصقاع المعمورة بانظار الخشوع والرجاء والرهبة ٠

هي ذي كثبان مكة وبطاحها تتراقص حبات الرمل فيها فرحة مستبشرة ، وقد أخذ نسيم عليل يداعبها ، والتربة الطيبة تهلل ببشرى عظيمة ، تحملها بين حناياها . فتضيق بها روابي مكة على رحبها ٠

والبشرى عظيمة وضخمة لن تسعها مكة ولا حتى الجزيرة كلها ، انها بشرى للعالم أجمع ٠ واذ تغني رياض الحجاز وتزغرد ربوعه ، تتعب الحنايا من ضغط تلك البشرى عليها ، انها تريد أن يخرج لتحمل النبأ العظيم الى اسماع أهل ذلك البلد الامين ، فتثلج الصدور ، وتشنف الآذان ٠

وكان القوم منهمكين بأعمالهم ، منشغلين بتجارتهم التي ازدهرت ، وأرباحهم التي تزيد ٠٠ وتزيد ٠٠ وما

يزال الله يغدق عليهم بنعم دفاقة وبغير انقطاع ، فتعمر أسواقهم وتزخر متاجرهم ، فتجمع الارباح الطائلة ·

وفي غمرة هذه الحالة ان اقبل ابو طالب يمشي على الارض هونا فزوجه فاطمة بنت أسد تتلوى من الألم ·· وما أن رآه محمد الامين وهو على تلك الحال حتى أقبل اليه مسرعا يسأله :

« ما شأنك ياعم »

واقترح الامين محمد على عمه ابو طالب أن يأخذ فاطمة الى الكعبة لتتعلق بأستارها علّ الله يخفف عنها تلك الآلام ·

جاءت فاطمة بنت أسد وهي سيدة بني هاشم الى الكعبة وتعلقت بأستارها تتوسل الى الله أن يخفف عنها حدة الألم الشديد ···

لكن ذلك الألم لم يكن سوى المخاض ··· فازداد تعلقها بأستار الكعبة تناجي ربها وتبتهل اليه أن يسهل عليها ما هو عسير ·

وما أسرع ما أن انجبت ، ليشرق ذلك النور الذي ما انطفأ ولن ينطفىء ، انه علي الشمس التي لا تغرب ·

تقول رواية ابن شهر آشوب :

« قال : فطلقت طلقة فولدت غلاما مسرورا نظيفا لم

آر كحسن وجهه ، فسماه أبو طالب عليا فحمله النبي (ص) حتى اداه الى منزلها » (١) ·

وفي رواية ، أنه حمله بعد أن لفه بخرقة من أستار الكعبة ·

كان ذلك اليوم رحمة للعالمين ·· وهو « يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل » (٢) ·

وعمت الفرحة كل شيء ، فالجميع مستبشرون والكل عمّت اساريره فرحة كبرى ··

وأشد ما فرح بالقادم العظيم أبوه وابن عمه محمد،أما أمه فلم تسع الارض فرحتها فرفعت رأسها الى السماء تشكر ربها الذي خصها ووليدها بكل هذه السمات السماوية ، فتلك المكرمة لم يسبق لها مثيل ···

وكم حق لها أن تباهي البشرية جمعاء ·· فقد انجبت في بيت الله الحرام ··· وهذا لم يحدث لاحد من قبل ولا من بعد ·

« لم يولد بعد علي ولا قبله مولد في بيت الله تعالى ··· » (٣) ·

(١) مناقب آل ابي طالب (صفحة ٧) ·
(٢) كشف الغمة ج ١ ص ٧٧ ·
(٣) الارشاد للشيخ المفيد ص ٩ ·

هكذا كانت البداية عظيمة القدر ، سماوية الميزة ، سخية العطاء ، ساطعة البرهان • نعم هكذا أراد الله أن تكون بداية المخلوق الذي استخلصه لنبيه خير أخ ، واصطفاه مع نبيه خير وصي ، وأحب حبيب •••

وانطلقت البداية ترفرف على شعاب مكة بعلاماتها الكبيرة البراقة ، التي تخلب البصر والبصيرة• تلكم هي علامات بينات وصفات تفرد بها ، وسمات خصه الله بها ، وميزات سما بها الى مصاف خير خلق الله اجمعين •••

والمجد معتده :

وهل من نسب يفوق نسب بني هاشم شرفا وعزة ومجدا وعظمة •• ؟!

انها ذرية ابراهيم المختارة التي اصطفاها الله وأسكنها ابراهيم (ع) بأمر الله بواد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام وأولى عنايته بهم وبالبيت وهيأ لهم كل أسباب الراحة فجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم •

وليس بالغريب ••• فتلك الذرية مصطفاة ومعدة لانجاد البشرية وخلاصها من كل شر •

عبد المطلب

فعبد المطلب جد الرسول الاعظم وجد امير المؤمنين

علي بن ابي طالب ، وعبد المطلب هو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك النضر بن كنانة بن عدنان (١) •

لم يكن عبد المطلب بالرجل العادي أبدا بل كان شخصية فذة نادرة المثال فرضت قوة شخصيته نفسها على عشيرته وعلى العشائر الاخرى ، بل كانت هيبته ونفوذ شخصيته تمتد فتتجاوز الحجاز لتشمل قبائل العرب كافة • فهو من اكثر شخصيات زمانه مكانة ورفعة وهيبة في نفوس العرب •

وهو ايضا ذلك المؤمن الذي عاش حنيفا قانتا ومات حنيفا تقيا • والكل يعرف عنه ذلك ، ويلجأ اليه ويستجير به • ويطلب عونه ، وهو يعطي للكل بقوة ايمانه ••• انه شيبة الحمد الذي يحدثنا التاريخ عن كثرة مواقفه الخالدة • وانسانيته الفذة المتفانية في خدمة الناس رجاء لرضى خالقها ، والحديث عن جد النبي العظيم يطول ويطول ويحتاج الى وقت ومجال أوسع ••• فهو أشهر من أن يُعرّف فالحديث عن شخصيته السامية الحافلة بكل نبل وكرم يعتبر من فضول الكلام بعد ما وضح شرفه

(١) مناقب آل ابي طالب ص ٥ •

كوضوح الشمس ويكفي أن يقال عنه انه عبد المطلب وكفى ·

ابو طالب

اذا صح للأب ان يفتخر بابنه فلا يتلائم هذا الا مع ابي طالب الذي أنجب أعظم شخصية عرفها التاريخ البشري بعد محمد (ص) ·

انه أب الامام علي ، وأسم ابي طالب هو عبد مناف بن عبد المطلب . وهو من اكبر سادة قريش في حياة أبيه وزعيمها بعده ··· وله دوره الكبير في حل المصاعب الكبيرة التي ينوء بها عظماء العرب ذلك لانه يتمتع بهيبة ونفوذ كبيرين من ثرائه الكبير وكفه السمحاء وشجاعته الشهيرة ، وهو المؤمن الذي لا نزاع في ايمانه وأفضل لقب لقب به انه مؤمن قريش ·

اذا فحياة أبي طالب ككل حياة حافلة بأسمى معاني التضحية والفداء واروع أمثلة الكرم والعطاء ولا يسعني أن أقبض عن هذا العطاء والتضحيات الجسام او ما يتحلى به هذا العظيم من نبل وكرم وسخاء ولست في مقام بيان ايمانه ، فأيمانه بنظري كالشمس التي لا تخفى على ناظر ·

ولا عجب لهذه الشخصية الكبيرة أن تنجب مثل علي

الذي عرف بنابغة العصور وأن يفخر بها كل الفخر ولا غرابة لعلي أن يفخر بنسبه الى هذا العظيم القدر الرفيع الشأن ·

فاطمة بنت أسد

كذلك الحال مع أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، انها سيدة قريش الاولى لا يدانيها في عزتها وشرفها ومكانتها وعلو نسبها وسمو خلقها أي أمرأة في عصرها ، انها ربيبة البيت الهاشمي . ومن تلك الذرية المختارة ، وكم عرف عنها من خصائص امتازت بها كأيمانها وتقواها ·

واضافة الى ما أمتازت به هذه الطاهرة من شرف ، امتازت أيضا بأنها أول أمرأة تلد في البيت الحرام وهذه ميزة فريدة لا تلحقها بها أمرأة مهما عظم شأنها وعلا قدرها . ويكفيها شرفا وعزة أن تكون بمثابة الأم لرسول الله (ص) . فانها ربته في حجرها وأغدقت عليه عطفها وحنانها ، وسهرت على صحته وراحته ، وأولته كل عنايتها واهتمامها · وكم كان النبي الكريم شاكرا لبرها، ممتنا لفضلها . ولم يناديها الا « يا أمي » (١) ·

وقد آمنت برسول الله في الاولين ، وهاجرت معه في المهاجرين ·

(١) اعيان الشيعة الجزء الثالث ص ٦ ·

ولما قبضها الله تعالى اليه كفنها النبي (ص) بقميصه، ليدرء عنها هموم الارض ، وتوسد في قبرها لتأمن بذلك. ولقنها الشهادة والاقرار بولاية ابنها امير المؤمنين علي (ع) لتتجنب بذلك عند المسألة بعد الدفن ... (١)

لقد جاء علي بن ابي طالب الى الدنيا وهو يحمل أسمى خصائص الوراثة البشرية ، جاء من تينيك الهاشمين العظيمين فاطمة و (ابو طالب) . الذين خصهما الله بحضانة الشجرة الاحمدية وحماية الرسالة الالهية ، واللذان كانا يترقبان قدوم وليدهما ـ وهو الابن الرابع ـ وفي اعماق حسهما وشعورهما الداخلي أن ولادته هي اعظم حدث تاريخي بعد حدث النبوة وأن وليدهما هذا سيكون له شأن بين ودور عظيم في انقاذ البشرية من براثن الصنمية والوثنية والجاهلية . فلما كانت الليلة التي تألقت بها شمس نوره ، وأشرقت على الارض ... ، خرج ابو طالب وهو يقول :

ايها الناس ولد في الكعبة ولي الله (٢) .

وفي أحضان الرسالة مرفده :

أما رسول الله (ص) فكان ينتظر قدوم الوافد . فهو

(١) الارشاد للشيخ المفيد ص ١٠ .
(٢) الغدير للشيخ الاميني ج ٧ ص ٣٤٧ .

يعلم أن هذا المولود سيكون : أخاه ، ووليه وذخره وكهفه وصفيه ، وأمينه على وصيته وخليفته من بعده وصنوه وزوج كريمته (١) ... ، كما ورد في حديث له . وفي كثير من أحاديثه (ص) بكل المناسبات .

فحب علي يجري في عروق محمد (ص) فقد خلقهما الله من طينة واحدة .

ومن شدة حبه لعلي ، قال لأمه فاطمة : « ايه فاطمة ؟ اجعلي مهده بقرب فراشي » . وكان يلي اكثر تربيته ، يطهره في وقت غسيله ، ويوجره اللبن عند شربه ، ويحرك مهده عند نومه ، ويناغيه في يقظته ، ويحمله ويطوف به جبال مكة وشعابها ، وأوديتها وفجاجها (٢) .

فقد كان شديد الحرص عليه لا يرغب عن مفارقته لحظة واحدة .

وطيلة السنوات الثمان التي بقي فيها (ع) في بيت أبيه (ابو طالب) ، والنبي لا يتركه يرعاه ويلقنه الايمان الناصع ، ويسقيه من كؤوس حبه المترعة حتى نبت لحمه ودمه في حب الله ورسوله .

وقد عبر الامام عن هذا الاحتفاء في بعض خطبه :

(١ ، ٢) كشف الغمة ج ١ ص ٦٢ .

« وقد كان لي من رسول الله (ص) المنزلة الحصيصة وكان رسول الله (ص) يمضغ الشيء ثم يلقمنيه » ·

وبقي النبي معه على هذه الحال ، يتحين الفرصة كي يضمه اليه نهائيا ، ويتفرد في تربيته ويفيض عليه بحنانه وعلمه ··· وجاءت نعمة الله الكبرى على علي وشاء الله أن يكون للنبي ما يرغب ، وما تصبوا اليه نفسه الشريفة ·

وذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وهي السنة المجدبة ، وابو طالب ذو عيال ، فقال رسول الله (ص) للعباس عمه ، وكان رضي الله عنه موسرا : « يا عم ان اخاك كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى ، فانطلق نخفف عنه شيئا » ·

فانطلقا اليه وقالا له ما أرادا ·

فقال لهما : أتركا لي عقيلا وخذوا من شئتم ·

فأخذ النبي (ص) عليا ، وأخذ العباس جعفرا ، وهكذا شاءت العناية الالهية أن تكون حضانة علي في حجر الرسالة وبيت النبوة وأدى هذا الاحتضان دوره في افاحة العطف والحنان النبوي على علي ، بل أن النبي (ص) كان يغدق على علي كل ما يحتاجه من صفات سامية ومناخية عالية وبهذا استطاع علي أن ينمي

شخصيته الفذة في ظلال الرسالة الربانية وعلى يد أعظم أستاذ عرفه ابناء هذا الكوكب ·

فعن جابر بن عبد الله قال :

« سألت رسول الله عن ميلاد علي بن أبي طالب ·

فقال : سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح ، ان الله تبارك وتعالى خلق عليا من نوري ، وخلقني من نوره ، وكلانا نور واحد · ثم أن الله عز وجل نقلنا في اصلاب طاهرة الى أرحام زكية ، فما نقلت من صلب الا ونقل علي معي · فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي امنة ، واستودعه خير رحم وهي فاطمة بنت أسد » · (١)

على هذا الطراز بدأت رحلة الامام علي (ع) من السماء الى الارض ، طاهرة بمحتواها ، قدسية بكل أبعادها فكل مواقف الرحلة المباركة كانت مشمولة للرعاية الالهية فتفيض عليها من وابل كرمها وشآبيب عطفها حتى وصل الى عالم الدنيا فكفله رسوله الامين يقومه ويعلمه حتى صلب عوده وأشتد ساعده ، لذلك ليس غريبا أن يكون لعلي هذه المناقبية الكبرى في التاريخ

(١) الغدير للشيخ الاميني ج ٧ ص ٣٤٧ ·

البشري بعد ما تهيأت له كل أسباب النجاح التي ذكرناها من عناية وكفاله وظروف مؤاتية ولا غرابة أن يصبح علي بعد ذلك أكمل شخصية في التاريخ بعد النبي (ص) من سخاء وكرم وشجاعة ونبل وفصاحة وبلاغة وأمام هذه الشخصية الكبيرة كان من المتوقع أن يحدث ما حدث من مغالات في حقها لندرة وجدوها في الخافقين وقد حصل هذا الافتتان بهذه الشخصية في حياة الامـام علي (ع) حتى قال :

« هلك فيّ اثنان ، محب غال ومبغض قال » .

الفصل الثاني

المسلم الاول :

كان الامين محمد يصطحب عليا أنى ذهب ، وعلي يلازمه كل وقته فهو دائما معه ، وخاصة عندما يذهبان الى الكعبة ، ويصليان لله الواحد القهار ، خالق كل شيء ...

قال زيد بن أرقم : أول من صلى مع رسول الله علي بن أبي طالب (١) .

انهم يرون النبي يأتي الى الكعبة ليصلي وعن يمينه علي ، ويطوف بالكعبة ومن ورائه علي والنبي يناجي ربه ، فقد ضاق ذرعا بقومه وجهلهم ، فهم يعبدون أصناما ، على أنها آلهتهم ثم يعمدون اليها فيأكلونها ، ويذرون عبادة خالقهم سبحانه عز وجل .

وعلي جانبه يشاطره همه ، ويواسيه ويقاسمه أحزانه ، وبه قال رسول الله :

---

(١) مناقب آل ابي طالب ص ١٤ .

صلت الملائكة عليّ وعلى علي سبعا ، وذلك انه لم ترفع شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا مني ومنه (١) ٠

يأتي النبي الى الكعبة كل يوم ، ويدعو الله حنيفا مخلصا له الدين ، وعلي معه يدعوان الله ويتضرعان اليه أن يهدي قومهما . ويعيد اليهم الرشاد ٠

لقد تعاظم بالنبي لهيب شوقه لخالقه ، وأستبد به قلقه على مصير قومه المغرقين بجهلهم ووثنيتهم ٠

فيهرع الى خارج مكة ويخلو الى نفسه ، فيناجي ربه ويدعوه أن يهدي هؤلاء القوم من ضلالهم ، يضمه طويلا غار حراء ، وعلي ينتظر عودته بقلب فارغ من الصبر ، انه لا يتمكن على مفارقته ٠ الى أن جاء اليوم الموعود ، والفرج الذي يتلهف له (ص) ٠ جاءت رحمة ربه ، ولطفه بعباده ٠

فهبط جبرئيل ليقول له : اقرأ ٠٠٠ فقرأ وهو ليس بقاريء ٠٠ !!

ذهب تطير به روحه الى زوجه ، فزف لها البشرى ، فأشرق وجهها وآمنت به ٠

(١) مناقب آل ابي طالب ص ١٤ ٠

وجاء علي فوجد البيت على غير ما اعتاده ٠٠٠ وأعاد عليه النبي ما قاله لخديجة ، فقرأ علي بأسم ربه الذي خلق ، وهو مستبشر وشعر بكبر العبء وأحس بعظمة الامر ، فبسط منكبيه للاسلام ولدعوته ووضع يده بيد النبي ، بائعا نفسه للدين الذي طالما ترقبه بشوق وانتظره بحرقة ٠ معطيا زمام أمره للنبي بتسليم كلي وشد على ساعد النبي الكريم وهي تحطم الاصنام وتقضي على عبادة الاوثان ٠

وشرعا بالدعوة الى عبادة الخالق القدير الذي خلق كل شيء فسوى ، وقدر فهدى ، ظل علي مع الرسول يسعيان بكل ما أوتيا من قوة ، وبأس لتثبيت دعائم هذا الدين وبقي الرسول طيلة حياته يقول فيه المحامد ويشكر له ذاك العون الكبير ٠

ففي حسن أسلام علي قال النبي (ص) :

أول الناس ورودا عليّ الحوض اولهم أسلاما علي بن ابي طالب ٠ (١)

وقال فيه كما أخبر ابو ذر وسلمان قالا :

أخذ رسول الله بيد علي فقال : ان هذا أول من آمن

(١) مناقب آل ابي طالب ص ١٦ ٠

بي ، وهذا فاروق هذه الامة ويعسوب المؤمنين ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهذا الصديق الاكبر ٠(١)

ومن هنا جاء لقبه بأمير المؤمنين الذي عرف به ٠ كان مجتمع مكة يوم ذاك مجتمع يسوده الظلم والتعسف والجور على الفقراء ٠ وكان التميز الطبقي على اشده ، فقد أستحوذت عليهم طقوسهم الجاهلية ، فأصبح مجتمعهم مشحونا بالسكر والعربدة والفحشاء ، يقتل بعضهم بعضا لاتفه الاسباب فتتكالب عليهم جوانب الشر الكامنة فيهم وانقلبت عليهم لتذيقهم مر العيش ، وشديد البؤس ، مجتمع عقد فيه لواء السلطان والزعامة للاقوى والاغنى ٠

وجاء المنقذ ليقف في وجه هذا المجتمع الغارق في لجج الظلام الدامس ٠ جاء ليخرجه الى النور ، ووقف بوجه تلك الجاهلية بقوة وصلابة لا تلين ، وتيار الجاهلية على أشده ذلك الحين ، والوقوف ضده يتطلب مشقة هائلة لا طاقة لانسان عادي بها ٠

ووقف النبي يصارع ذلك التيار العنيف وكان بحاجة لمن يشد عضده ، فوقف الى جانبه علي (ع) يذب عنه ويفديه بروحه ودمه ، ويتحمل معه وعنه الاذى الشرس

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٨٥ ٠

الذي لاقاه من قومه في سبيل الدعوة ٠

وكلما انتشر الاسلام وتعاظم أمره وكثر أصحابه كلما أشتد عداء أهل مكة وتعاظم حقدهم ، وأخذوا على النبي ـ وعلي في ركابه ـ يتحمل معه تلك الهجمة العنيفة التي كانت قريش ومن سار في ركابها يشنها على المسلمين الاوائل بلا هوادة ٠

بدأت المسؤولية الملقاة على عاتق الامام علي (ع) تكبر ٠٠ وتكبر ، والهموم تتضخم ، والمشاكل تتفاقم٠٠ ومع أنه كان ما يزال صغيرا في سن الحلم ، لكن هذه المسؤولية الكبرى جعلت منه رجلا صلبا شديدا مغوارا ، قبل ان يبلغ عمر الرجال بكثير ، وجعلت منه رجلا وأنسانا ليس له مثيل بعد النبي (ص) ، ومن الطبيعي أن نراه ليس كسائر افراد البشر فقد خلقه الله عز وجل لذلك الامر العظيم ـ الاسلام ـ وحباه الصفات المميزة ٠ وقد كانت هذه المصاعب الكبيرة تتناسب مع شأنه العظيم ، ودوره الجليل الذي يأتي بعد دور النبي مباشرة في حمل عبء الاسلام ، واداء الرسالة ، والدفاع عنها حتى تثبت للاسلام اركانه على تلك الارض المقدسة ٠

وانه لامر جسيم الصعاب ، وقد كان علي ذلك

الناشيء الذي بلغ توا عمر البلوغ ، رجلا مقداما غير هياب صلب البنية ، شديد التاثير ، فلم يكن غريبا ولا صدفة أن استوزره النبي (ص) وآخاه ، وهو النبي ذلك الحكيم العظيم الذي لا ينطق عن الهوى ·

وسنه يومئذ خمسة عشر سنة (١) وقال له رسول الله (ص) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي (٢) ·

وقد ورد هذا الحديث بشكل مستفيض عند كل من ترجم حياة الصحابة ·

وزير السماء :

جاء أمر الله للنبي « وأنذر عشيرتك الاقربين » · ومن هنا الاحداث تكبر . فقد أراد الله من النبي (ص) أن يعلن دعوته ويأمر عشيرته بالايمان ، ويدلهم على الاسلام . ومحتوى هذا الدين . ليكونوا على بينة من أمرهم · وأراد الله أن يركز الدعائم الاساسية والاركان المهمة لهذا المنهاج الحياتي القويم الذي بعث لاجله فقال له «قم فأنذر » ···

(١) اعيان الشيعة ج ٣ ص ٨٨ ·

(٢) مناقب آل ابي طالب ص ٢٨ـ٣٠ ·

والابتداء يكون بالعشيرة ···

وكان ذلك الحدث الاولي في الاسلام ·· والذي أتى في مقدمة تعاليم الرسالة المحمدية ، ومن أهم اركانها ··· وعلى رأس مقوماتها هذا الحدث وهو ما عرفه التاريخ بأسم « حديث الدار » ·

فعندما أتى الامر للرسول جمع بني عبد المطلب في دار ابي طالب وهم أربعون رجلا بزيادة او نقصان في العدد حسب الروايات ·

وعندما التئم الجمع ، أمر الرسول بتقديم الطعام لهم فأكلوا ··· وبعد ذلك ، قال لهم :

يا بني عبد المطلب ان الله بعثني الى الخلق كافة ، وبعثني اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الاقربين ، فأنا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان ، تملكون بهما العرب والعجم ، وتنقاد لكم بهما الامم . وتدخلون بهما الجنة ، وتنجون بهما من النار ، شهادة أن لا اله الا الله ،وأني رسول الله · فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني عليه وعلى القيام به ، يكن أخي ووصيتي ، ووزيري ووارثي ، وخليفتي من بعدي . فلم يجبه أحد منهم ، قال أمير المؤمنين : فقمت بين يديه وأنا اذ ذاك أصغرهم سنا ، واحمشهم ساقا ،

وارمضهم عينا · فقلت أنا يا رسول الله ، اوازرك على هذا الامر · فقال : أجلس ، ثم اعاد القول على القوم ثانية ، فأصموا ، فقمت أنا وقلت مقالتي الاولى ، فقال أجلس ، ثم اعاد القول على القوم ثالثة ، فلم ينطق أحد منهم فقمت وقلت : أنا أوزارك يا رسول الله على هذا الامر فقال أجلس ، فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي ، وخليفتي ، فنهض القوم وهم يقولون لابي طالب : اليوم اذ دخلت في دين ابن أخيك · فقد جعل أبنك أميرا عليك · (١)

والمستفاد من هذا الموقف ان النبي (ص) نص على علي (ع) من أجل أن يحقق الدور الكبير للرسالة لانها بحاجة الى استمرار لتستطيع ان تصل الى عمق النفس البشرية وتهديها ، وكان علي (ع) هو الاستمرار المحافظ على هذه الرسالة ومع هذا البيان الواضح على امامة علي من يوم الدار وما تلاه من احداث لتثبيت الامامة ، كيف يحلو لجماعة من الناس أن يقولوا أن النبي لم ينص على أحد وأنما ترك الامر للامة تختار من تشاء من الاكفاء !! وكيف يصح أن ينسب الى أعظم انسان مربي على وجه الارض أنه ربى أمة من اعظم الامم ثم تركها وذهب الى ربه ·· انه لعجب عجاب ؟!!

(١) الارشاد للشيخ المفيد ·

ان منصب الامامة جعل عليا يتحمل مسؤوليته في زمن النبي وفي أوائل الدعوة حتى تمكن من اعطاء الدعم القوي لهذه الرسالة ما لا يمكن حصره ، وبهذا الدعم العظيم استطاع هذا أن يضرب الجرانة في الاوطان وأن يثبت اركانه في الساحة القرشية حتى ضاقت قريش ذرعا بهذا النجاح الباهر للدين الجديد ، فعمدت الى كل اساليب الاغراء ، فلم تنفع شيئا ، فأزمعت قريش حينئذ أن تحاصر الهاشميين حصارا اقتصاديا من أجل تشكيل ضغط قوي على المساعدين كأبي طالب واولاده ليتخلوا عن الدور الذي يمارسونه ولتختنق الرسالة بعدئذ في مهدها ولكن الحماة الاحرار أبوا الا مضيا في الذود والدفاع عن هذه الرسالة العظيمة وعن صاحبها محمد (ص) · فقد ذكر التاريخ أن أبا طالب من حرصه على النبي كان لا ينام الا جنب محمد وكان في الليل ينقله من فراشه ثم يأمر عليا بالنوم مكانه وكان علي(ع) ينام فرحا قرير العين لانه يعلم أن هذا الفداء يؤمن سلامة النبي (ص) الذي بعثه الله رحمة للعالمين ·

الهجرة وفراش النبوة : ـ

ان عسف القرشيين وجورهم على المستضعفين من الناس جعل كثيرا من الناس يفكر في النزوح عن مكة الى بلد آخر يأمنون فيه ، وأخبر النبي بذلك فوافق على

نزوحهم ولكن أمرهم بالسفر الى الحبشة ، فسافر المسلمون رجالا ونساء الى الحبشة فاطمأنت بهم الدار حيث تمكنوا من تأدية واجباتهم بكل حرية وأمان وتلت الهجرة الاولى هجرة ثانية نتيجة الضغط المتزايد وفي نهاية الضغط اجمعوا على الوقيعة بالنبي (ص) بشكل لا يطاالبون بثاره فجاؤا من كل قبيلة بواحد ليكون القتل من الجميع فلا تكون قبيلة واحدة مطالبة بدم محمد فيضطر بنو هاشم لاخذ الدية ·

فشل المؤامرة :

وعرف النبي (ص) بواسطة الوحي الذي أمره بالسفر الى المدينة فجاء النبي الى علي وأخبره بما سيقع وأمره ان ينام على فراشه فقال علي : أو تسلم أنت يا رسول الله · قال (ص) نعم · عندئذ بكى علي مرحا ونام على فراش الموت مقدما ومضحيا بنفسه من أجل ابقاء الرسالة بشخص هذا المرسل العظيم · وذهب النبي مع صاحبه الى الغار والقوم محدقون بداره وعلي مشتمل بأزار النبي(ص) وهم يرقبون فيرون شخصا نائما وما أن بزغ الفجر بخيوطه الاولى حتى هجموا على بيت النبي يريدون قتله فوجدوا عليا ، فتحيروا وارتبكوا وبان الفشل الذريع في وجوههم ، وسقطت المؤامرة الدنيئة ونجح فداء علي (ع) ونجا رسول الله محمد (ص) ·

ثم بدأ الامام علي (ع) برد الودائع والامانات التي كانت عند النبي (ص) الى أهلها ·

حيث أن النبي (ص) هو أمين قريش على ودائعهم وأماناتهم فلما جاء منهم ما اضطره الى مغادرة مكة لم يجد بين قومه وأهله من يأتمنه على ما كان مؤمنا عليه سوى علي (ع) فاستخلفه في رد الودائع الى أربابها وقضاء ما كان عليه (ص) من دين لمستحقيه ·

هجرة الفواطم مع علي :

بعد أن سار الركب النبوي متوجها الى مكة آمنا ، عمد علي (ع) الى ودائع النبي (ص) فردها الى أهلها وجهز قافلة صغيرة تنقل بنات النبي وغيرهن من الفاطميات ثم ارتحل عن مكة ضحوة النهار تحديا لقريش ولقوتهم فارادوا منعه عن هذا السفر فمانعهم حتى تغلب عليهم ومضى هذا الركب ، والنبي ينتظر قدومه بلهف وشوق وكان الركب خلال الرحلة كلها لا يفتر عن ذكر الله تعالى ·

فأنزل الله سبحانه في حضهم « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »·

ومضى الركب مجدا في سيره حتى وصل علي وقد تشققت قدماه من حر الهجير فمسح النبي عليهما فلم يحس بوجع بعدها ، وسارت بعد ذلك قافلة النبي (ص) تحمل النور الى المدينة المنورة فملأها خيرا وبركة وكان قدومه خير قدوم . ساوى بين الناس .

ومحا عنهم نخوة الشرك واصلح بين الحيين وقت في عضد اليهود المستفيدون وحدهم من هذا الخلاف .

أخوة الرسول والرسالة : ــ

عندما وصل النبي (ص) الى المدينة فكر في بناء قاعدة شعبية متينة ، ومركزا لهذه القاعدة ، تتمكن القاعدة من خلاله أن تتحرك وتنمو في تحركاتها في مكان المركز وهو الجامع الذي ندب اليه اصحابه فشرعوا في بناء القاعدة العقائدية فكانت اللبنة الاولى هي المؤاخات بين المسلمين من مهاجرين وأنصار .

استطاع بهاتين العمليتين تهيئة الاجواء الاسلامية العاملة وتوحيد الصف الاسلامي الجديد وضرب القوى المعادية سواء كانوا يهودا أو مشركين وقضى على العنعنات الجاهلية . وكان لعلي (ع) فضل بارز في هذه المؤاخات العامة بين المهاجرين والانصار (والانصار بعضهم لبعض من أوس وخزرج) حيث آخاهم رسول الله (ص) كما ذكر ابن هشام وغيره من المؤرخين ، **أنه**

بعدما آخى بين اصحابه أخذ بيد علي فقال : هذا **أخي ووصيي** ، **وفي** بعض الروايات أن عليا وقف متأسفا بعد هذه المؤاخات فنظر اليه النبي (ص) وقال انما تركتك لنفسي .

ومغزى هذا الحدث الجليل أن عليا (ع) نفس الرسول (ص) ينوب عنه في سفره وغيابه ولا يحق لاحد آخر أن يتولى النيابة عن رسول الله في غيبته الا علي (ع) الذي هو نفسه وعينه .

انها الاخوة بأسمى معانيها . لقد نال علي أخوة محمد (ص) عن جدارة واستحقاق ، وقام بمهامها خير قيام واكمل قيام .

وتركزت في هذه المؤاخات ، الكثير من النقاط الهامة في الرسالة الاسلامية ، والكثير من الجوانب الحافلة بالبيان في اهتمام علي بالرسالة ، وعلاقته الحميمة والجوهرية بها .

وهذا الحدث شكل مقياسا كبيرا في امامة علي ووصايته على الرسالة المحمدية ، وهو من الموازين التي يجب أن تأخذ بالاعتبار لمن اراد التحقيق في وصاية الرسالة والولاية .

اقتران النورين :

فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين . فاطمة تلك

المشكاة فيها مصباح كانها كوكب دري ... (١)

فاطمة بضعة رسول الله وفلذة كبده ، وأعز الاحبة اليه .

وعلي ذلك الحبيب الذي رباه رسول الله وانشاه على يديه خير نشأ ، والذي يقول (ص) فيه : نوروا أولادكم بحب علي بن ابي طالب ، فمن أحبه فاعلموا انه لرشده ، ومن أبغضه فاعلموا أنه لغيه . (٢)

ويقول أنس : كنت خادم رسول الله وفي ليلة قال لي : يا أنس يدخل عليك من هذا الباب امير المؤمنين وخير الوصيين أقدم الناس اسلاما ، واكثرهم علما وارجحهم حلما ، قال : فدخل علي بن أبي طالب . (٣)

نعم هو ذا علي ، وتلك فاطمة خير خلق الله قاطبة . شبّا وترعرعا في بيت النبوة،وشملتهما العناية واللطف الالهي،فصار لهما من الميزات ما لم يحظ بمثله سواهما.

وحينما اصبحا في سن الزواج لم يكن بين الرجال كفوء لفاطمة بنت رسول الله سوى علي ، ولم يكن لعلي بين النساء كفوء سوى فاطمة .

(١) مناقب آل ابي طالب ص ٣١٧ ـ ٣١٨ .
(٢) الارشاد للشيخ المفيد ص ٣٠ .
(٣) الارشاد للشيخ المفيد ص ٣٠ .

ورسول الله ينتظر أمر الله في زواجهما ويرد كل من يتقدم لطلب شرف التقرب منه بفاطمة.فهم كثيرون الذين تقدموا بين يدي رسول الله يخطبون اليه ابنته فاطمة ، وكانوا من اكابر القوم واسيادهم فيعرض عنهم رسول الله ويقول لهم :

« اني انتظر أمر الله فيها » .

أما علي فكان يغالب رغبته في التقدم بين يدي رسول الله لخطبتها ، لان الحياء يمنعه ، والصحابة ينتظرون ببالغ الترقب معرفة من سيكون الرجل الذي فضله الله عليهم جميعا !؟ ولان هذا الزواج غير عادي وسيتم بأمر الله تعالى وسينزل به أمره الى النبي .. الا انهم يعرفون حق المعرفة ان عليا هو الرجل الاجدر والوحيد الكفوء . والذي سينال هذا الفضل ، فدفعوا به بين يدي رسول الله ... فتقدم بين يدي رسول الله وأحجم ، وقد عقل الحياء لسانه ، فسأله رسول الله عن حاجته . فسكت . وليس من عادته السكوت ولا الاحجام، واعاد (ص) عليه السؤال فقال : ما حاجة علي ؟

قال : يا رسول الله ذكرت فاطمة بنت رسول الله .

فقال (ص) : مرحبا وأهلا ... (١)

(١) ذخائر العقبى ص ٣٣ .

فخرج الامام ووجهه طافح بالغبطة والسرور ، وأقبل عليه اولئك الرهط من الانصار واشراف المهاجرين ، فاخبرهم الخبر ٠

وفهم الناس من كلمة النبي أن الوحي قد نزل وان الله اختار عليا زوجا للزهراء ، وباتوا جميعا يترقبون، وينتظرون اعلان الرسول تلك البشرى ٠

واجتمع نخبة من المهاجرين والانصار عند النبي ولما التام شملهم قال (ص) ، معلنا زواج علي من فاطمة :

الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه واعزهم بدينه ، واكرمهم بنبيه ، ان الله تبارك اسمه ، وتعالت عظمته جعل المصاهرة نسبا لاحقا،وامرا مفترضا ، واشبح به الارحام ، والزم به الانام ٠ فقال عز من قال « هو الذي خلق الماء فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » ٠

فأمر الله يجري ، ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب ، يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، ثم أن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة بنت خديجة من علي بن ابي طالب ، ثم دعا بطبق من بسر فوضعت بين ايدينا ثم قال انتهبوا ٠٠٠ فانتهبنا »٠

ويضيف المحدث وهو أنس بن مالك ويقول : فبينما نحن ننتهب اذ دخل عليّ رضي الله عنه على النبي (ص) فتبسم النبي في وجهه ، ثم قال : ان الله قد أمرني أن أزوجك فاطمة على اربعمائة درهم ان رضيت بذلك ٠ فقال علي (ع) : رضيت بذلك ٠

فقال له النبي (ص) : جمع الله شملكما ، وأسعد جدكما ، وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا ٠ (١)

ولم يكن الامام علي يمتلك سوى درعه وسيفه ،فباع الدرع باربعمائة وثمانين درهم ، وقدمها مهرا للزهراء ٠

ان كتب التاريخ تنقل صورا رائعة لهذا الزواج ٠ انها المثالية المطلقة والنموذج الرائع للزيجة الاسلامية ، في بساطتها وعدم تعقيد الامور ، تم العرس ، وعمت الفرحة ، وأشرق بالسماء ٠٠٠ كل ما في الكون مغتبطا سعيدا ٠

أما النبي العظيم فلفرحته وشديد ابتهاجه معاني ومعاني في نفسه ، وفي مضمون رسالته ٠

وجعل (ص) يدعو لهما من اعماقه ٠٠٠ ويعوذهما

(١) ذخائر العقبى ص ٦٧ ٠

من الشيطان ومن الرجس هما وذريتهما · (١)

هكذا تم قرآن النورين حيث يطبع في الاعماق اروع صورة وأسمى معاني الجلال والعظمة لاقدس زواج في اعماق الدهور ·

تم القران بأمر من السماء انزله الله جل وعلا ، على نبيه محمد وأراد بهذا القران ان يتم نعمته على العباد·

ولا غرابة في القول ان مثل هذا الزواج لم يحدث به التاريخ لا من قبل ولا من بعد ، فهو القران الوحيد الذي يأتي به الامر من الباري عز وجل ، وان السماء هللت فرحا به واقامت الملائكة فرحا عظيما · وذلك لاهمية هذه الزيجة في الاسلام ، اذ من هذين الزوجين سيكون حفظ الاسلام وبهما وبولدهما سيؤدى الاسلام ، ويتم الدين ، على احسن وجه بعد وفاة رسول الله الاعظم ·

وها هو ذا النبي (ص) يعبر عن فرحته الكبرى بهذا الزواج ويقرره في احاديث كثيرة له ، ··· وهو يصف لابنته زواجها فيقول : « يا ابنتي والله ما أردت أن أزوجك الا خير أهلي » (٢) ·

(١) منتخب الكنز ص ٣١ ·

(٢) انظر مناقب علي بن ابي طالب ص ٣٤٩ ·

ويؤكد لها منزلة زوجها فيقول :

زوجك سيد في الدنيا والآخرة ، وانه لاول اصحابي اسلاما واكثرهم علما واعظمهم حلما · (١)

وقد وقعت هذه الزيجة المباركة بعد الهجرة بشهرين · (٢) وكم أحتفل القرآن الكريم بهذا الزواج ففي تفسير السيوطي الدر المنثور أن تفسير الآية « في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه » في سورة النور فانه قال : وأخرج ابن مردوية وبربرة قال : قرأ رسول الله هذه الآية (في بيوت أذن الله أن ترفع) ، فقام اليه رجل وقال : أي بيوت هذه يا رسول الله ·

قال (ص) : بيوت الانبياء ·

قال : فقام ابو بكر فقال : يا رسول الله وهل هذا البيت منها (بيت علي وفاطمة) ، قال (ص) نعم من أفضلها · (٣)

واما اكثر آيات القرآن المجيد في حق هذا البيت النبوي ، بيت علي وفاطمة ·

(١) خصائص النسائي ص ٢٢ ·

(٢) تاريخ اليعقوبي ·

(٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ١٢٠ ·

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ·

رائد الجهاد :

بعد أن استتب الامر للمسلمين في المدينة وأخذت دعائم الاسلام بالثبات والرسوخ ···

وهنا جاء دور النضال السلبي ، واستخدام السلاح والقوة في نشر الدعوة الاسلامية ·

وفي هذا الدور أبلى الامام علي ذلك البلاء الذي يعطيه صفة الاولوية ، بعد أن أخذ اعظم دور في مرحلة النضال الايجابي ··· الجهاد بالقلب واللسان · وليس لاحد أن ينكر ان الامام علي كان على رأس القائمة التي تضم اولئك المسلمين الذين تفانوا بالاسلام ، وضحوا من أجل تبليغ رسالته · فأصبح الاول في كل انواع الجهاد ، سواء في السلم أم في الحرب ·

ان لكل صحابي دورا معينا في النضال الاسلامي الاول أما الامام علي فله كل الدور ، وجميع المواقف التي كانت تعني مصير رسالة الاسلام فهي له ··· وستظهر لنا حقيقة هذا القول من خلال استعراضنا لهذا الدور في غزوات النبي (ص) وحروبه مع المشركين ·

١ ـ غزوة بدر : ـ

أخذ المشركون يعدون العدة ويجمعون كل قوتهم للقضاء على الاسلام ، بعدما لاحظوا تعاظم أمر الاسلام ، واشتد خوفهم من القوة التي صار المسلمون في المدينة · خاصة بعد أن تعرض المسلمون لقافلة ابي سفيان التي تحمل أموالا لقريش ·

فهب أهل مكة وقد جمعوا كل عدتهم ، وهيئوا أحسن عتادهم وهموا بالمسلمين يريدون القضاء عليهم ·

فأستعد لهم المسلمون ، وجمعوا قوة ايمانهم · والتقى الجمعان ، وصمق المشركون ، وقذف المسلمون بقلوبهم الرعب ، ورموا طواغيتهم الى الهلاك والدمار ·

وكان للامام علي دور البطل المؤمن الذي قتل اكثرهم وخاصة كبار المشركين ، وجندل ابطالهم ، واطاح برؤوس صناديدهم وعمالقتهم ·

فقد قتل من المشركين في هذه الغزوة تسعة وأربعون رجلا ، والذين قتلهم علي (ع) هم اثنان وعشرون كما جاء في كتاب المغازي للواقدي ، قتل ثمانية عشر واشترك في قتل أربعة ومن الذين قتلهم (ع) : الوليد بن عتبة خال معاوية ··· والعاص بن سعيد بن أميه ، وعامر بن عبد الله ، ونوفل بن خويلد بن أسد ومسعود

بن ابي امية بن المغيرة ، وقيس بن الفاكهة ، وعبد الله بن المنذر بن ابي رقاعة ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، وشارك في قتل حنظلة بن ابي سفيان ، وزمعه وعقيل ابنا الاسود بن المطلب ، وغيرهم ٠ (١)

قتلهم الامام علي وترك قلوب ذويهم تشحن بالحقد والضغينة عليه ، وعصبية الجاهلية تشعل نار البغضاء له ، والتوعد به للاخذ بالثأر منه ٠ والتي ظلت تشتعل في نفوسهم حتى بعد أسلامهم ٠

وكانت راية الاسلام مع علي بن ابي طالب وظلت معه ترفرف عاليا ٠٠٠٠

٢ ـ غزوة أحد : ـ

وهي الغزوة التي تلت بدرا ، وكان اللواء في هذه الغزوة مع مصعب بن عمير ، ولواء المشركين في بني عبد الداء ، فاستشهد مصعب بن عمير فاخذ النبي(ص) اللواء ودفعه لعلي بن ابي طالب ، فجمع (ع) الراية واللواء ٠ (٢)

وبرز علي (ع) لطلحة حامل لواء المشركين فقتله

(١) كشف الغمة ج ١ ص ١٨١ ٠
(٢) الارشاد للشيخ المفيد ص ٤٨ ٠

وأخذ اللواء بعده أخوه مصعب ، فأتاه سهم من عاصم بن ثابت فقتله فأخذه عبد لهم أسمه صواب ، وكان أشد الناس بطشا ، فقتله علي بن ابي طالب ، وسقط اللواء من يده ، فتراجع المشركون ، وهموا بالهزيمة ، واكب المسلمون على الغنائم ، فلما رآهم أصحاب الشعب ـ المسلمون الذين وضعهم رسول الله على رأس الشعب للدفاع ـ يغنمون خافوا فوت الغنيمة فاستأذنوا رئيسهم عبد الله بن حزام في أخذ الغنائم ٠

فقال لهم : ان رسول الله أمرني ان لا أبرح من موضعي هذا ٠

فقالوا له : انه قال ذلك وهو لا يدري ان الامر يبلغ ما ترى ومالوا على الغنائم ، وتركوه ، ولم يبرح مكانه، فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله ، وجاء من ظهر النبي ، فنظر الى النبي ، فقال لمن معه دونكم الذي تطلبون ، فحملوا على النبي (ص) حملة رجل واحد ، وخالد بن الوليد ، يحثهم على قتل النبي ويصرخ من شدة فرحه ، اذ خيل له انه سيقتل محمد رسول الله ٠٠٠

وجعل أصحاب النبي يقاتلون دونه ، حتى قتل منهم سبعون رجلا ، وثبت علي بن ابي طالب ، وابو دجانة ،

وسهل بن حنيف للقوم يدفعونهم عن النبي (ص) ٠(١)

وفي هذه المعركة قتل حمزة عم النبي وأسد الله ورسوله ، قتله وحشي بعد أن أغرته هند بنت عتبة ـ زوجة ابي سفيان ـ فرماه وحشي غدرا بحربة ٠

وأتت هند بنت عتبة ـ أم معاوية ـ فرحة مستبشرة واخذت بالتمثيل به ، فجدعت انفه واذنيه وشقت بطنه وقطعت كبده ٠ (٢)

وحزن النبي عليه أشد الحزن ، وبقي بعد وفاته مدة كئيبا دامع العين ٠٠٠٠

وقد تعرض النبي (ص) في ذلك اليوم للقتل بعد أن انهزم المسلمون عنه ، وفروا ولم يبق معه سوى الامام علي وبعض المسلمين وهم لا يتجاوزون الستة، يدافعون عنه بمهجهم يذودون عنه بأرواحهم ، قال رسول الله لعلي وقد نظر الى كتيبة اقبلت اليه : احمل على هذه يا علي ، فحمل امير المؤمنين عليها وقتل منها هشام بن امية المخزومي ، وانهزم القوم ، ثم اقبلت كتيبة ثانية فقال النبي : احمل على هذه يا علي ، فحمل عليها وقتل منها عمرو بن عبد الله وانهزم قومه ، وهكذا قتل امير

(١) كشف الغمة ص ١٩٢ ج ١ ٠
(٢) الارشاد للمفيد ص ٥٠ ٠

المؤمنين بشير بن مالك العامري من الكتيبة الثالثة فانهزمت ٠ (١)

وظل الامام علي يبطش بالمشركين ، ويفرقهم عن النبي ، ويفلق هاماتهم ، فيفرون من وجهه مذعورين ، هلعين من هذه القوة الخارقة وكان يفزعهم قتله (ع) لاصحاب الويتهم ٠

هكذا نجا النبي بلطف الله ورعايته وعاد هو وبطله المغوار علي بن ابي طالب ٠

فاستقبلتهما فاطمة (ع) وأخذت تضمد جراحاتهما وكانت جراح كثيرة ظلت تنزف ٠

وقد جرح الرسول الكريم في وجهه الشريف ، وشج رأسه وكسرت رباعيته ، وكان علي وفاطمة يواسيانه ٠

ورجع المشركون الى مكة ، وقد استشاط بهم الغضب وأكلهم الحقد ، وأستبدت بهم العداوة للمسلمين كافة ـ ولعلي خاصة ، فقد قتل رؤوسهم ، واصحاب الويتهم وكما يروي عبد الملك بن هشام في سيرته ، بأن عليا قتل اصحاب الالوية ، ويعددهم بأسمائهم (٢) ، وغيرهم

(١) الارشاد للمفيد ص ٥٢ ٠
(٢) التفصيل في الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٤ ٠

الكثير حتى كانت له حصة الاسد في قتل الذين هلكوا في تلك المعركة ·

٣ ـ غزوة بني النضير والاحزاب :

لم يهدأ بال المشركين ، وباتت الهزيمة في بدر وأحد تقض مضاجعهم والاخذ بالثأر والانتقام من المسلمين يشغل بالهم ، وابو سفيان يحرضهم ، وجاء جماعة من اليهود بعد أن فتك فيهم الامام علي ودك حصونهم وقتل سيدهم كعب بن الشريف ، ووزع رسول الله اموالهم على المهاجرين والانصار (١) ·

وحدث هذا في غزوة بني النضير التي وقعت سنة اربع للهجرة (٢) · وتسمى أيضا « بغزوة السويق » حيث جاء اليهود الى ابي سفيان (صخر بن حرب) وسألوه المعونة فقال : انا لكم حيث تحبون فاخرجوا الى قريش ، فادعوهم وحرضوهم الى الحرب ، وليضمنوا لهم النصرة، والثبات معهم ، فطافوا على وجوه قريش ، ودعوهم الى حرب النبي ، ثم خرج اليهود حتى جاءوا غطفان وقيس غيلان ، فدعوهم الى حرب رسول الله ، فاجتمعت الاحزاب ، وخرجت قريش وكان قائدها ابو سفيان

(١) الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٥ ·
(٢) سيرة ابن هشام من الفهرس ·

وخرجت غطفان وقائدها عينيه بن حصن في بني فزارة والحرث بن عوف في بني مرة ، ووبرة بن طريف في بني قومه (١) ·

وقصدت الاحزاب المدينة ومعهم جمع من الاحباش ·

وقد بلغ عدد المشركين من الاحزاب عشرة آلاف (٢) · فلما سمع النبي بهم أخذ يفكر في كيفية مواجهتهم والمسلمون قله ، وهم بحشد وعدة لا يمكن اغفالها ·

فاشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق فشرع رسول الله بالحفر وباشر فيه بنفسه ومعه المسلمون ، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف (٣) ·

وفي شوال سنة خمس للهجرة أشرف المشركون على المدينة · وتقابلوا مع المسلمين فخاف المسلمين عددهم الكبير وصبروا جزعين ·

روى محمد بن عمر الواقدي :

قال جاء عمر بن ود العامري ، وعكرمة بن ابي جهل ، وهبير بن ابي وهب ، ونوفل بن عبد المغير ، وضرار بن الخطاب في يوم الاحزاب الى الخندق فجعلوا يطوفون به

(١) الارشاد ص ٥٦ ·
(٢) كشف الغمة ج ١ ص ١٩٦ ·
(٣) كشف الغمة ج ١ ص ١٩٧ ·

يطلبون مضيقا ليعبرون منه حتى انتهوا الى مكان اكرهوا خيولهم فيه ، فعبرت فجعلوا يجيلون خيولهم بين الخندق وسليع ، والمسلمون وقوف لا يتقدم منهم أحد ، وجعل عمر بن ود يدعو الى البراز والمسلمون لم يحركوا ساكنا ·

ودعى عمرو وعرض بالمسلمين مناديا الى البراز وفي كل ذلك يقوم علي (ع) ليبارزه فيأمره الرسول (ص) بالجلوس انتظارا منه ليتحرك غيره ، والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير لخوفهم من عمر ومن معه ، ومن وراءه ، وطال نداء عمرو وهو يقول :

لقد بحت من النداء بجمعهم هل من مبارز ؟

وتتابع قيام الامام علي (ع) يطلب من النبي أن يبارزه ، فقال له رسول الله (ص) ادن مني يا علي ·· فدنى منه فنزع عمامته من رأسه وعممه بها ، واعطاه سيفه ، وقال له : امضي لشأنك ، ثم قال اللهم أعنه (١)، فسعى نحو عمرو وقال رسول الله : اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين (٢) ·

وسخر منه عمرو ورفض مبارزته لصغر سنه فقال له

(١) منتخب الكنز ص ٣٥ ·
(٢) الارشاد ص ٥٩ ـ ٦٠ ·

علي (ع) : يا عمرو انك قلت في الجاهلية لا يدعوني احد الى ثلاث واللات والعزى الا قبلتها أو واحدة منها · قال : أجل ·

قال (ع) : فاني ادعوك الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله وأن تسلم لرب العالمين ، قال : يا ابن أخ أخرّ هذه عني ·

فقال له علي : اما انها خير لك ، ثم قال فهاهنا أخرى ·

قال عمرو : وما هي ·

قال (ع) : ترجع حيث جئت · قال لا تحدث بها نساء قريش ابدا ·

فقال (ع) : فها هنا أخرى ·

قال : وما هي ؟ قال (ع) : تنزل وتقاتلني ···

فضحك عمرو وقال : ان هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحد من العرب يرومني عليها ·

فنزل عن فرسه ، وعلت غبرة حجبتهما عن العيون ، وسمع المسلمون تكبيرة ، فعلموا أن عليا قد قتله ·

وانكشف اصحاب عمرو حتى طفرت خيولهم ،

فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق ، ولم ينهض به الفرس ، فجعلوا يرمونه بالحجارة · فقال لهم : قتلة اجمل من هذه ، ينزل الي بعضكم فابارزه ، فنزل اليه الامام علي فضربه حتى قتله ، وألحق به هبير ، وفر الباقون (١) ·

بعد مقتل عمرو اضطرب جيش المشركين وأرسل الله عليهم الريح ، « اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها » ·

وأختلفوا فيما بينهم ورجعوا مهزومين · وكأن النصر من عند الله حليف المسلمين ·

٤ ـ غزوة بني قريضة وذات السلاسل :

بعد انهزام الاحزاب عمل رسول الله (ص) على ضرب بني قريضة ، وأرسل عليا (ع) في ثلاثين من الخزرج وقال له : انظر بني قريضة هل نزلوا حصونهم · وكان ما كان من محاصرة حصونهم ، وفتحها عنوة ، وقتل الامام علي لهم واقتياد بعضهم أسرى ·

(١) الارشاد للمفيد ص ٦٠ ·

وكذلك غزوة ذات السلاسل حيث عقد رسول الله اللواء لرجل من المهاجرين ، وضم اليه سبعمائة فرجع خائبا ، وبعث برجل ثان فرجع على ما رجع عليه صاحبه ، فعقد اللواء لعلي بن ابي طالب وقال قولته المشهورة :

يا علي لولا اني اشفق ان تقول فيك الطوائف ما قالته النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك مقالا لا تمر بملأمنهم الا أخذوا التراب من تحت قدميك (١) ·

« ووقعت في هذه السنة سنة خمس للهجرة غزوة بني قريضة وغزوة ذات السلاسل ·

وفي سنة ستة للهجرة » (٢) ، وقعت غزوة بني المصطلق والحديبية وكان للامام علي (ع) ما كان له في سواها (٣) ·

٥ ـ وقعة خيبر :

كانت هذه الوقعة في محرم من سنة سبع للهجرة (٤)

(١) الارشاد للمفيد ص ٦٤ ·
(٢) سيرة ابن هشام من الفهرس · وفي رواية سنة تسع للهجرة ·
(٣) سيرة ابن هشام من الفهرس ·
(٤) كشف الغمة ·

فقد قصد المسلمون حصون خيبر التي تحصن بها اليهود ، بعد ان كان اليهود قد ألبوا قريشا وغطفان على المسلمين وتسببوا في وقعة الخندق (الاحزاب) وكان صاحب راية الاسلام وحامل لوائه علي بن ابي طالب قد اشتد عليه الرمد ، فاعطى الرسول (ص) اللواء لاحدهم، فأقبل على حصون اليهود وهي ستة حصون فلقي شدة من أهل خيبر ، فرجع بلوائه خائبا ، فدفعه النبي (ص) الى آخر من الاصحاب ورجع فرجع الصحابي خوفا منهم ، ودفعها لغيره فكانت نفس النتيجة ·

وهكذا كان يدفعها الى اصحابه الواحد تلو الاخر فيرجعون خوفا وجبنا ، فغضب رسول الله وقال لاصحابه « لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله عليه » (٥) ·

وبات المسلمون ينتظرون الغد ويتشوقون لمعرفة هذا الرجل ومن سيكون ؟

وما ان أشرقت الشمس في اليوم التالي حتى طلب الرسول (ص) عليا وكان علي (ع) أرمد العين فجيء به وهو مكفوف البصر فأخذ النبي شيئا من ريقه فمسح به

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٢ ·

على عيني علي فشفاه وعاد كما كان عليه سابقا · فدفع الرسول (ص) بالراية اليه وقال :

« قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك » ·

فسار قريبا ، ثم نادى يا رسول الله علام أقاتل ؟

قال (ص) حتى يشهدوا أن لا أله الا الله وان محمد رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحاسبهم الله (١) ·

وكان بطل اليهود مرحب وهو من صناديد الجزيرة يهاب بطشه الناس · وكان يقف على باب الحصن ، وقد منع المسلمين من دخوله ووقفت اليهود وراءه ، فنزل اليه الامام علي (ع) وبارزه فقتله ، فأرتج على اليهود وغشيهم الفزع ، فقد هالهم قتل مرحب ، وخامرهم رعب شديد ، ورجعوا الى حصونهم يحتمون فيها ·

فاقتحم علي (ع) الحصن بعد أن دك بابه الضخم ، وجعل منها جسرا على الخندق ليعبر عليه المسلمون (٢) ·

ودخل المسلمون الحصن ، وابلوا بلاءهم العظيم وقضوا على الافعى اليهودية وغنموا غنائم كثيرة ·

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ــ ص ١٥٦ ·
(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ــ ص ١٥٦ ·

٦ ـ فتح مكة :

أن الاوان عند النبي (ص) للتفكير بالرجوع الى مكة وفتحها عنوة بعد ان توطد أمر الاسلام ، ومهد للدين الحنيف فكثرت رجاله واشتد ساعده ، وقوي بنيانه · خاصة بعد أن نقض المشركون عهد الحديبية ، وانقضى اجله ·

وقد اخذ النبي يفكر بذلك سرا وقد أخبر أمين اسراره عليا بما يفكر فيه ·

وقرر النبي فتح مكة فأخبر اصحابه بذلك فجمعوا جمعهم وتوجهوا الى مكة في رمضان سنة ثمان للهجرة (١) ·

ودخلوها فاتحين منتصرين ، وكان النبي قد أعطى الراية لسعد بن عباد ، وأمره أن يدخل بها أمامه ، ولكن سعدا تجرأ على أهل مكة واهانهم بالقول فقال رسول الله (ص) يا علي ادرك سعدا وخذ الراية منه ، وادخل بها أنت (٢) ·

ثم فتح مكة ودخل الرسول البيت الحرام وطاف

(١) سيرة ابن هشام ـ الفهرس ·
(٢) الارشاد للشيخ المفيد ·

المسلمون بالكعبة ، واندكت الاصنام واطيح بها ومحي اثرها ·

واستقر المسلمون بمكة بعد أن ملكوها ،و طابت أنفسهم ·

٧ ـ غزوة حنين :

بلغ الرسول (ص) ان هوازن جمعت في وادي حنين جمعا فخرج اليهم (ص) في اثني عشر الفا من المسلمين، وجعل لواءهم بيد علي بن ابي طالب ·

وقد اعجب المسلمون بكثرتهم ، ولكنهم رغم ذلك انهزموا لان هوازن نصبت لهم كمينا ، فاستولى عليهم الرعب وانهزموا ، فنزلت بهم الآية :

« ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » ·

وذلك بعد أن قتل علي (ع) بطلهم أبا جرول وهو أحد أبطال هوازن ·

هكذا اصاب المسلمين الرعب عندما فاجأتهم هوازن في كمينها وولوا الأدبار دون ان يقاتلوا او يجردوا سيوفهم ·

ولنستمع لشاهد عيان وهو يصف لنا الواقعة :

يقول عبد الرحمن بن جابر عن ابيه :

لما استقبلنا وادي حنين ، وانحدرنا من أودية تهامة ، وفي عماية الصبح كان القوم قد سبقوا الى الوادي ، فكمنوا لنا في شعابه وانحائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا واعدوا فوالله ما راعنا ونحن ننحدر الا والكتائب قد شدت شدة رجل واحد علينا وانهزم الناس اجمعين وانتشروا لا يلوي أحد على أحد ، وانحاز رسول الله (ص) ذات اليمين ثم قال ايها الناس هلم الي انا رسول الله انا محمد بن عبد الله ، قال : فلا شيء ، احتملت الا بل بعضها بعضا (١) .

واحدق الخطر بالنبي الكريم فصمد معه علي (ع) ونفر من بني هاشم وبعض النساء ، وانزل الله سكينته عليهم وايدهم بنصره .

وتلت وقعة حنين احداث ليست لها أهمية تذكر وكان لعلي فيها نفس ما كان له من مواقف في غيرها .

ومن هذا العرض البسيط للحروب التي خاضها النبي (ص) وكل الانتصارات الرائعة التي حققها لنشر الدين الحنيف .

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ـ ص ٢٤٧ .

نستطيع ان نرى فيها دور الامام علي (ع) واهميته بجلاء ووضوح تام ويتبين انه قتل الكثير من المشركين وابطالهم . ولهذا بقيت تعتمل في نفوس اهاليهم الضغينة والحقد والكراهية للامام (ع) ، والتي بقيت تستعر في قلوبهم حتى بعد اسلامهم وكثيرا ما صرح الامام علي (ع) بهذا .

ولذا نجد بيوت مكة صارت تتحين الفرص بالامام سواء في زمن النبي او بعد وفاته (ص) .

٨ ـ غزوة تبوك

بعد فتح مكة ، وفي اواخر سنة ثمان للهجرة في شهر رجب ، كانت غزوة تبوك . اذ كان على النبي ان يبث دعوته في كافة الاقطار وعموم الأصقاع . فأمره الله بالسير الى تبوك .

فاستنفر الناس للخروج معه الى بلاد الروم ، وكان المسلمون قد استكانوا وغمرهم فيض الاسلام ، فاينعت ثمارهم وزادت ارزاقهم ، وكان القيض شديدا وقتئذ فأمتنع كثير منهم عن الخروج مع الرسول الى بلاد الروم خوفا من القيظ ، وايثار للراحة والخلود لها ، وبعد المسافةو لقاء العدو يزيد من خوفهم .

خرج النبي ومن خرج معه ، ونهض بعضهم على

استثقال وتخلف آخرون ، وكان على النبي أن يستخلف رجلا مكانه في المدينة يصلح أمر المسلمين ويقوم مقامه فيها ·

فاستخلف عليا فيها وكان علي يرغب بالسير معه ، فقال له رسول الله « ان المدينة لا تصلح الا بي او بك » (١) ·

ولم لا فهو وصيه وخليفته ولا يصلح الاسلام الا بهما، سواء ذلك في حياة النبي او في مماته ·

وقصد النبي من ترك علي يقوم مقامه في المدينة واضح ومعروف ما كان (ص) يريد به ···

وهذا القصد هو الذي اثار الحسد والضغينة في نفوس البعض ممن تخلفوا فاخذوا باثارة الاقاويل ، وقالوا ان رسول الله لم يستخلف عليا الا اشفاقا عليه من الحرب ، وان عليا تخاذل عن المسير معه ·

نعم اذا كانت هذه الاباطيل تشاع عن النبي وعلي في زمن الرسول فما الذي سيحدث للامام علي (ع) بعد وفاته (ص) ؟!!

(١) الارشاد للمفيد ص ٩٨ ·

٩ ـ بعثة اليمن :

بدأ الاسلام ينتشر ويزدهر ، وراح صداه يعم ارجاء الجزيرة · واعتزم النبي (ص) ان يبعث الى اليمن من يهديهم الى الحق والنور ·

فبعث اليهم وأمر من بعثهم ان يسيروا بهم بالتي هي أحسن ولكن بقي هؤلاء مدة ولم يأتوا بنتيجة ·

فدعا النبي (ص) عليا فعقد له اللواء وقال له : امض فلا تلتفت · قال الامام : يارسو ل الله كيف أصنع ·

قال (ص) : اذا نزلت فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ، فان قتلوا منكم قتيلا فلا تقاتلهم ، تلوّمهم حتى تريهم اناءه ، ثم تقول لهم هل لكم ان تقولوا لا اله الا الله فان قالوا نعم ، فقل : هل لكم ان تقيموا الصلاة ، فان قالوا : نعم ، فقل : هل لكم أن تخرجوا من اموالكم صدقة تردونها على فقرائكم ، فان قالوا : نعم · فلا تبغ رجلا منهم غير ذلك ، والله لأن يهد الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس او غربت » (١) ·

وسار اليهم علي (ع) فاسلم اهل اليمن على يديه · ورجع الى رسول الله مسرورا بتلك النتيجة التي

(١) امتاع الاسماع للمقريزي ص ٥٠٢ ·

حققها ، ثم أن رسول الله أرسله مرة أخرى الى اليمن وسيأتي ذكرها ...

غدير خم وحجة الوداع :

في سنة عشر للهجرة أذن مؤذن في الناس ان الرسول (ص) يعتزم الحج هذا العام .

وتهيأ اهل المدينة ، خصوصا وقد قيل عنها حجة الكمال والتمام فخرج الرسول الكريم (ص) وخرج معه حشد هائل من المسلمين ، والذي بلغ تعداده مائة الف وعشرون الفا (١) .

والتحقت بهم جموع أخرى من اليمن مع امير المؤمنين (ع) وابي موسى ، وذلك ان النبي كان قد أرسله مع الامام علي الى اليمن بكتاب ليخمس ويقبض ما وافق عليه اهل نجران من الحلل والعين وغير ذلك . وكان ذلك بعد حدوث قصة المباهلة مع النصاري من أهل نجران وما كان فيها من اظهار الفضل للامام علي وولديه وزوجته ، والقصة مشهورة (٢) .

كتب النبي (ص) الى الامام علي (ع) بالتوجه من

(١) الغدير ج ١ ـ ص ٩ .
(٢) التفصيل في الارشاد ص ٩٧ـ٩٩ .

اليمن الى الحج ليلتحق به وحج رسول الله ومن معه وقضى المناسك وانصرف راجعا الى المدينة ، والجموع الغفيرة وراءه حتى وصل غدير خم بالجحفة وهي منطقة مفترق الطرق الى المدينة ومصر والعراق والتي ستفترق منها الجموع .

توقف هناك حيث نزل الوحي على النبي بآية « يا أيها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » . فصدع النبي (ص) لأمر ربه وجمع الناس واقام في وسطهم ، ورفع صوته حتى سمع كل الناس ، فخطب خطبة الوداع المشهورة فقال :

« الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ، ومن سيئات اعمالنا ، الذي لا هادي لمن ضل ولا مضل لمن هدى .

واشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله .

أما بعد : ايها الناس قد نبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبي الا مثل نصف ما عمر الذي قبله واني أوشك أن أدعى فأجيب واني مسؤول وانتم مسؤولون فماذا انتم قائلون .

قالوا : نشهد انك قد بلغت ونصحت ، وجهدت

فجزاك الله خيرا ·

قال : الستم تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان جنته حق وناره حق وان الموت حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ·

قالوا : بلى نشهد بذلك ·

قال اللهم اشهد ·

ثم قال : فأني فرطكم على الحوض وانتم واردوا علي الحوض ، وان عرضه ما بين صنعاء وبصرى ، فيه اقداح عدد النجوم من فضة . فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين ·

فنادى منادي : وما الثقلان يا رسول الله ·

قال : الثقل الاكبر كتاب الله ، طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به ولا تضلوا ، والآخر عترتي ·

وان اللطيف الخبير انبأني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فسألت ذلك ربي · فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعين ·

فقال : ايها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ·

قالوا : الله ورسوله اعلم ·

قال : ان الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه ـ يقولها ثلاث مرات ـ وفي لفظ احمد امام الحنابله اربعة مرات ، فهذا علي مولاه ·

ثم قال اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ·

ثم لم يتفرقوا حتى نزل الوحي بقوله : اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ·

فقال رسول الله : الله أكبر ، اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضي الرب برسالتي وولايتي لعلي من بعدي ·

وتقدم القوم من الامام علي (ع) يهنئونه ، ويعترفون بفضله ومنهم من قال له بخ ، بخ لك يا علي أمسيت واصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (١) ·

وفي رواية أن رسول الله (ص) أمر عليا أن يجلس في خيمة بأزائه وأمر المسلمين بالدخول عليه يهنئونه

(١) الغدير ج ١ ـ ص ١٠ـ١١ ·

ويمترفون له بأمرة المؤمنين فوجا فوجا ، ففعلوا ذلك ، وامر ازواجه ونساء المسلمين بذلك ففعلن (١) ٠

وفي رواية أن النبي ختم خطبته بقوله لا ترجعوا بعدي يملك بعضكم رقاب بعض ، اني خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ٠ ألا هل بلغت ٠

قالوا : نعم ، قال (ص) : اللهم اشهد ، ثم قال : انكم مسؤولون فليبلغ الشاهد فيكم الغائب (٢) ٠

ويتضح من قوله (ص) : « فليبلغ الشاهد فيكم الغائب » ان هذا الواجب شامل وعام ٠ يشمل سائر المسلمين ، وفي كل الازمان كما انه ابان في خطبته وجوب التمسك بعترته واهل بيته ولم يخص عليا فقط ، وفيها أشارة جلية الى أن في اهل بيته من يمكن الاعتصام بهم ، والتمسك بولايتهم وامامتهم على امتداد الزمن ٠

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أن يكون لهم الخيرة » ٠

ولن يستطيع العقل مهما تأثر بسوء النفس الا أن

(١) كشف الغمة ج ١ ـ ص ٢٢٨ ٠

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ٠

يقدر هذا الواجب الديني الذي نص عليه القرآن وأمر الله ورسوله بالتبليغ ، بل لن يستطيع ان ينكر أن الولاية التي هي من أصول الدين لان بها اكمل الله الدين وتمت النعمة ٠

والنبي بعد هذا كان يعلم بدنو أجله ، وان الله اختاره لقربه ، وقد انبأه بهذا كما أنبأه بحدوث الفتنة بعد وفاته ٠

فكان (ص) في كل قيام وكل جلوس وفي كل مقام يقوم فيه يوصيهم بعترته خيرا ويؤكد ما قاله لهم في خطبة الوداع ويوصيهم بطاعتهم والاقتداء بهم ٠

فكان يقول لهم : « ايها الناس لا لفينكم بعدي ترجعون كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض فتقتلوني في كتيبة كبحر السيل الجرار ، الا وان علي بن ابي طالب اخي ووصي ، يقاتل من بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » (١) ٠

وهو يعلم انهم سيخالفونه ويعصون أمره ، فهو اعرف بهم وبنفوسهم المريضة التي لم يكبح جماح جاهليتها حتى بعد اسلامهم واراد بشتى الوسائل ان يبلغ ما أمره

(١) الارشاد ص ١٠٦ ٠

ربه ويمنع الفتنة التي ستحدث بعده ، ويقرره قبل مفارقتهم وان يكمل لهم دينهم ، فيمهد لوصيه وأخيه الخلافة من بعده ويخلي الساحة من المعارضين ٠

بعثة اسامة بن زيد :

ومن أجل اخلاء الساحة أخذ النبي يفكر بارسال الجيش للعدو ، فقرر ان يجهز جيش المسلمين وأمر اسامة بن زيد أن يقود الجيش الى بلاد الروم ، وكان اسامة حديث السن ولكنه بطل مغوار ، واراد النبي بذلك تحقيق مفهوم مهم من المفاهيم الاسلامية وهو أن القيادة لا تكون بالسن او محصورة بكبير القوم ٠٠ وأسنهم أولى بقيادتهم ٠

لذا طلب النبي من جميع المسلمين ان ينضموا تحت لواء أسامة وانتدب كل الصحابة ، والمهاجرين والانصار لتلك الحرب ، عدا الامام علي (ع) فقد طلب منه البقاء الى جانبه لكي يتم له ما أراد ولكي يعاينه في مرضه ويدير شؤون المسلمين الادارية التي يتولاها النبي ولم يستطع ان يباشرها بنفسه بسبب مرضه ٠

واصبح المسلمون على تسليم اللواء لاسامة بن زيد وتخلف الكثير منهم عن الذهاب معه فغضب الرسول الاعظم وحثهم على المسير بشدة حتى انه لعن من يتخلف

عن جيش اسامة ٠ وما يزال المرض يشتد عليه ويعتصر قلبه الألم . والقوم قد تخلفوا عن تنفيذ اوامره في تسيير جيش اسامة . فغضب (ص) أشد الغضب عندما علم أن بعض المهاجرين الاولين ـ على حد تعبير ابن هشام ـ اعترضوا على ذلك (١) ٠

فطلبهم الى داره . وقال لهم :

ألم آمركم ان تنفذوا جيش اسامة

قالوا : بلى ٠

قال : فلم تأخرتم ٠

فقال ابو بكر : اني كنت خرجت يا رسول الله ثم رجعت لاجدد العهد بك ٠

وقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله لم أخرج لانني لم أحب أن أسأل عنك الركب ٠

فقال النبي : نفذوا جيش اسامة ٠٠ وكررها ثلاث مرات (٢) ٠ والألم يشتد عليه ٠

وأخيرا خرج جيش أسامة ، وثقل رسول الله (ص) فاقام اسامة والناس معه ينتظرون ما الله قاض في

(١) سيرة ابن هشام ص ٦٠٦ ـ ج ٢ ٠
(٢) الارشاد للشيخ المفيد ٠

رسول الله (ص) · قال اسامة : فلما ثقل رسول الله ، هبطت المسكر وهبط الناس معي ، وقد أغمي على رسول الله وكان يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يصبها علي فعرفت انه يدعو لي (١) · ثم اغمي عليه (ص) ثم أفاق ، ثم عاودته الاغماءة ومكث هنيهة مغمى عليه ، وبكى المسلمون وارتفع النحيب من ازواجه وولده ونساء المسلمين فأفاق رسول الله ، وقال اتوني بدواة وكتف ، لاكتب اليكم كتابا لاتضلوا بعده ابدا ، فقال عمر بن الخطاب : ارجع فانه يهجر ، حسبنا كتاب الله ، فرجع الذي قام ليلتمس له دواة وكتفا ·

وندم من حضر على ما كان منهم من التقاعس في احضار الدواة والكتف وتلاوموا ، وقالوا انا لله وانا اليه راجعون · لقد اشقتنا من خلاف رسول الله ·

فلما افاق قالوا له : ألا نأتيك بدواة وكتف ·

فقال (ص) : أبعد الذي قلتم ، لا ولكني اوصيكم بأهل بيتي خيرا · (٢)

وقال (ص) لعلي : يا أخي تقبل وصيتي ، وتنجز

(١) الارشاد للشيخ المفيد ·

(٢) الارشاد ص ١٠٧ ـ شرح ابن ابي الحديد ص ١٧٢ ج ٣ ـ صحيح البخاري ج ٣ ـ طبقات ابن سعد ـ تاريخ ابن كثير ·

عدتي ، وتقضي عني ديني ، وتقوم بأمر أهلي من بعدي ، فقال علي نعم يا رسول الله ·

فقال ادن مني ، فدنا منه ، فضمه الى صدره ، ثم نزع خاتمه من يده فقال له خذ هذا لك وضعه في يدك ، ودعا بسيفه ودرعه ولامته ، ودفع ذلك كله اليه ، وقال له امضي على اسم الله الى منزلك · (٣)

ولما كان الغد ثقل على رسول الله مرضه ، فطلب عليا فلما دنا منه أومأ اليه فأكب عليه فناجاه رسول الله طويلا ثم قام فجلس ناحيه ، حتى اغفى رسول الله (ص) فلما خرج قال له الناس ماذا أوعز اليك رسول الله يا أبا الحسن ، فقال (ع) علمني ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب ، وأوصاني بما انا قائم به ان شاء الله ·

وبقي النبي ينازع وهو على فراش الموت ، ويفكر بالمسلمين ، وماذا سيكون امرهم من بعده ، وكان اعلم بنفوسهم المريضة ، وانهم سوف يتركونه على فراش الموت ويتنازعون على الخلافة ·

انه في آخر لحظة من حياته يحمل هم المسلمين ، ويحمد الله على قضاءه وقدره ، وقد اختاره الرفيق

(٣) الارشاد ص ١٠٨ ·

الاعلى الى جواره . ففاضت نفسه الطاهرة ، وكان رأسه في حجر الامام علي (ع) .

وهنا يتوقف القلم عن الكتابة ....

ففي النفس تعتلج الاشجان وتكتض أمـور لا يجرؤ القلم على وصفهـا ولن يستطيع ان يعبر ، خاصة عن حالة الامام علي تلك الساعة وهو يودع معلمه وحبيبـه محمد ، واثر الخطب عليه وعلى المسلمين كافة .... ومن يستطيع ان يعبر عن جو تلك الساعة وذلك المصاب العظيم . والرزء الجلل الا ابو الحسن علي (ع) فـانه اختصر كل ما يمكن ان يقال في كلمتين :

ان الصبر لجميل الا عنك وان الجزع لقبيح الا عليك وان المصاب بك لجليل وانه قبلك وبعدك لجلل .

الفصل الثالث

سفينة النكوص :

في الوقت الذي كان فيه رسول الله ينازع ، كـــان الانصار قد تجمعوا في سقيفـــة بني ساعدة بانتظار أن يقبض الـــنبي فيشـــاركون بتجهيزه والصلاة عليه ، واكثرهم لا يشك في أمر الخلافة وأحقية الامام عـــلي بن ابي طالب فيها ، كما كان الاعتقاد سائدا بين كـــافة المسلمين ، وهم لا يعلمون بما خبأه لهم الزمن من الفتنة وضياع السنة اذ ان وراء الاكـــمة من يحيكون مؤامرة على الاسلام والمسلمين ، وافساد ما وضع له رسول الله من خطة تضمن لهم الامن والامـــان بعده ، وتكمل للامة دينها وتكفل لها استمراريتها ٠

هناك طائفة غرتهم زينة الحياة الدنيا وبهارجهـــا ، وطمعوا بما لم يحلموا فيه ، وسول لهم شيطانهم الافساد والفســـاد ، ووسوس في نفوسهم ان الخلافة ، وقيادة المسلمين لا بد ان تخرج من آل بيت هـــاشم ٠٠ فباتت تخطط لما تريد ٠

وكان النبي يعلم بهذه الـــفئة لذا أراد اخراجها من المدينة في بعثة اسامة فخالفته٠٠٠ كانت خطتهم دقيقة، فقد احكموها واعدوا لها اعدادا ضخما ٠

نعم !! فهناك عمر بن الخطـــاب وابو بكر اللذين استطاعا ان يستميلاهم بعد أن فتحوا شراهيتهم أغروهم ووعدوهم في عطاء جزيل اذا ما صارت اليهما الخـلافة وكان هـذا الحزب قد أمـــتدت جذوره الى بيت النبي وعشعش فيه فقد كانت هناك عائشة وحفصة ابنتا ابي بكر وعمر وعلى تعبير احد المؤرخين :

« ان الحزب القرشي لم يكن وليد مفاجأة او ارتجال، وانما كان وليد تخطيط مسبق وضعت اصوله واحكمت اطرافه بكل اتقـــان ورؤوس هذا التخطيط ابو بكر وعمر ، وابو عـــبيدة الجراح ومن اعضاء هذا الحزب عائشة وحفصة » (١) ٠

حقا ان الامر لم يكن وليد مفاجأة وانما تمخض عن مؤامرة وخطة مرسومة بدهاء كبير ودقة متناهية ٠

وانها لتبدو هذه المؤامرة واضحة للعيان عندما تبين ونكشف مخططها خطوة خـــطوة ، ومن هذه الخطوات

(١) القول للمستشرق « لانس » نقلا عن كتاب سيرة الائمـــة الاثني عشر ص ٢٨١ ــ ج ١ ٠

بدأت في حياة النبي ومنها بعد وفاته ففي حياة الرسول نفذت خطوتان او اكثر ٠

فالاولى التخلف عن المسير مع جيش اسامة والبقـاء في المدينة بأي ثمن حتى لو ان الرسول أكد وطلب بشدة المسير ، حتى لو لعن من تخلف ، وهذا ما تم تنفيذه ٠

والخطوة الثانية : تحريض المسلمين على رفض قيادة أسامة والتشهير بأن القيـادة يجب أن تكون لكبير السن وأسامة صغير٠٠ لان هذا المبدأ ضروري لتلك الطائفة٠

والخطوة الثالثة : هي منع الرسول من الكتابـة لهم ، وقول الذي قال انه يهجر ٠

أما بعد وفاة النبي (ص) فكانت هناك لائحة طويلة على الحزب ان ينفذها بدقة وحذر شديدين ٠

وبدأ التنفيذ عندما شرع عمر بن الخطـاب بتنفيذ أول بنودها والبند هو ان يأتي عمر الى الناس صارخـا فيهم مهددا بسيفه :

« ما مات رسول الله ، ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله وليرجعن ، فليقطعن ايدي رجال وأرجلهم ، فمن ارجف بموته لا اسمع رجـلا يقول مات رسول الله الا ضربته بسيفي » ٠ (١)

(١) السقيفة للشيخ المظفر ص ١١٠ ٠

وقد اعطت بداية الانقلاب هذه مفعولها المطلوب ، وتجاوب جماهير المسلمين معها يعود الى أنهم أحسوا بهول المصاب بفقد رسول الله ... فقد انجاب ذلك النور الذي كانت تشرق به نفوسهم كلما أصبحوا وامسوا ، لذلك فالألم يقطع نياط قلوبهم بفقدان نبيهم الكريم وأبيهم العظيم .

واعظم بيومه يوم ، واعظم بمصابه مصاب واعظم به فقيدا . انه يوم كان للمسلمين مضرب مثل « انه كيوم مات فيه رسول الله » وبينما هم على هذه الحال فاذا ابي حفص يطلع عليهم بقوله ذاك الذي أخذ بمجامع قلوبهم وتعلقوا به كالغريق الذي يتشبث بمنقذه، فكسب بذلك اولا مودتهم ، وجذب فكرهم نحوه ، وصرفهم عن التفكير بأمرهم بعد رسول الله والخلافة من بعده ، وكان كل تفكيرهم يدور حول الامام علي (ع) ومبايعته ، فلما سمعوا الخبر انصرفوا عن هذا التفكير لان النبي سيرجع بعد اربعين يوما كما رجع موسى الى قومه ، وهكذا صرف عنهم هذا التفكير الى حين تدبير الامر .

وبذلك حقق لهذه الخطوة نجاحا ساحقا .

وانه لمن العجيب بالكتاب عن هذا الامر خاصة المحدثون منهم ، اذ المفروض بهم ان يكونوا اكثر واقعية

في زمن المؤرخين السالفين . (١)

المهم ان هؤلاء تغاضوا عن هذا ، بل اكثر من ذلك فقد دافعوا عن عمر ووضعوا له المبررات اللامعقولة ، فهاهما « طه حسين » ، و « عباس محمود العقاد » يقولان ان عمر فعل ذلك من شدة حبه للنبي فانه لم يستطع ان يصدق ان رسول الله قد مات ومن هول الصدمة عليه قال عمر ما قال . (٢)

والحق ان هذا التبرير لم يكن في صالح عمر مطلقا وهو يثبت عدم ايمانه وانه لم يقرأ الآية « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم » .

وآية « انك ميت وانهم لميتون »

لا !! فان عمر كان مسلما قارئا للقرآن ... الا أنه يبهت عندما يسمع هذه الآيات من ابي بكر وكأنما يسمعها لاول مرة .

---

(١) ولكن هذا قد يحدث في عصرنا فقد قبض محمد حسنين هيكل مئات الجنيهات ثمنا لحذف قطعة صغيرة من كتابه « حياة محمد » .

(٢) يراجع كتاب طه حسين (الفتنة الكبرى) .

فكانت تلك هي الخطة ، وهذا من اهم بنودها · وقد احكمت الخطة ونجحت فعلا ··· ·

ومن بنود المؤامرة ايضا التحريض ضد علي ، لانهم على علم ان عددا من المسلمين وجميع المنافقين يكرهون علي ويحملون لـه في نفوسهم المـريضة الحقد والثأر ، لانه انزل بهم الويـــلات وقتل من ذويهم واسيـــادهم المشركين ما قتل ومن حسن حظ تلك الطائفة ان هؤلاء ـ ذوي النفوس المريضة ـ هم في الغـــالب وجوه في قومهم ولهم كلمتهم المسموعة ·

هذا بالاضافة الى ما كان يخشـاه المسلمون من امرة علي عليهم ، ومن عدله بين الناس ، وشـدته في ضرب الامتيازات، فقد كانوا يرهبون أمره بالمعروف ويخشون نهيه عن المفكر ، ويقلقهم عدله ومساواته بين الناس ، فلم يكن لهم فيه مطمع ولا لاحد عنده هوادة ·

فمتى تخضع الاعراب لمثله ، وهم أشد كفرا ونفاقا وأجدر ان لا يعلموا ما انزل الله من حدود ، « ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » ·

وفوق كل هذا كانوا يحسدونه على ما آتاه اللـه من فضل وفضيلة · لذلك كله سرعان ما انزلقوا في ركب المؤامرة المحبوكة وخاصة وجوه الـقوم اولئك الاعزة ،

لانهم يعلمون علم اليقين ان علي بن ابي طالب اذا وليهم سيجعـــل من اعزتهم اذلة ومن اذلتهم اعزة حتى يرجع الحق الى اهله ويقيم القسط والعدل بينهم بالقوة ،وهذا لا يروق لهم ، لا سيما انه سوف يكشفهم على حقيقتهم·

فسرعان ما انقادوا لابي بكر وعمر وسلموهما الزمام لان فيهما الخلاص من كل ذلك ·

وكانت الخطة الاخيرة او الـــبند الاخـير في هذه المؤامرة هي تمويه الحقائق وتشويش الامور ، وتأويل نصوص النبي في وصايتـه لعـلي مما جعـل غـــالبية المسلمين في ضياع تـــام لا يعلمون من امرهم شيئا

وبعد ان تم كل هذا الاعداد للمؤامرة بدقة متناهية والتي حققت نجاحا كبيرا بدأ التنفيذ لاستلام النتائج وتم الانقلاب ··· !! ·

فتوجه ابو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة الجراح الى سقيفة بني ساعدة ، وكـان الانصـــار قد اجتمعوا هناك ، وقد طمح شيخهم سعد بن عباد بالخلافة ، واراد الانصار الخلافة لانفسهم بعد أن عرفوا ان الامر طمع وتنافس ورأوا أنـهم هم أحق بها الا انـــهم لم يكونوا يعلموا ان وراء الاكمة ما ورائها ·

ولم تكن خطة مرسومة بدقة متكاملة ففشلوا واختلف

الاوس والخزرج .... وارى من الجدير ان انقل هنا النص الحرفي لاحد المؤرخين وهو يصف « مأساة » السقيفة ، ومن خلال عرض ابن ابي الحديد لاحداثها يستشف بصورها المأساوية ، ليرن في اذهاننا سؤال مؤلم : ايمكن ان يحدث للمسلمين مثل هذا ... لكنها الحقيقة المرة .

يقول ابن ابي الحديد ما نصه :

« ان رسول الله لما قبض اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة واخرجوا سعد بن عباد ليولوه الخلافة ،وكان مريضا فخطبهم الى اعطائه الخلافة ، والرئاسة فأجابوه ثم ترادوا في الكلام ، وقالوا : واذا جاء اولياؤه وعترته، فقال قوم من الانصار نقول منا أمير ومنكم أمير فقال سعد فهذا أول الوهن ، وسمع عمر الخبر فاتى منزل رسول الله وفيه ابو بكر فارسل اليه ان اخرج الي ، فارسل : اني مشغول ، فاعلمه الخبر ، فمضيا مسرعين نحوهم ، ومعهما ابو عبيدة فتكلم ابو بكر فذكر قرب المهاجرين من رسول الله (ص) وأنهم اولياؤه وعترته ، ثم قال :

يا معشر الانصار املكوا عليكم بمشورة ولا نقضي دونكم الامور فقام الحباب بن المنذر بين الجموع فقال :

يا معشر الانصار املكوا عليكم امركم فان الناس في ظلكم ولن يجرؤ أحد على خلافكم ولا يصدر أحد الا عن رأيكم ، أنتم اهل العزة والمنعة وأولوا العدد والكثرة، وذووا البأس والنجدة وانماينظر الناس ، ما تصنعون ، فلا تختلفوا فتفسدوا عليكم اموركم فان أبى هؤلاء الا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات ، لا يجتمع سيفان في غمد . والله لا ترضى العرب ان تولي أمرها من كانت النبوة منهم ، من ينازعنا سلطان محمد ونحن اولياؤه وعشيرته ...

فقال الحباب بن المنذر : يا معشر الانصار املكوا ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فليذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان باسيافكم وان الناس بهذا الدين ... انا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب انا ابو شبل في عرسه والله ان شئتم لنعيدها جذعه .

فقال عمر : اذا يقتلك الله .

فقال الحباب : اياك يقتل الله .

فقال ابو عبيدة : يا معشر الانصار انكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدّل وغير . فقام بشير بن سعد والد النعمان بن بشير فقال : يا معشر الانصار الا ان محمدا من قريش وقومه اولى به ، وايم الله لا يراني الله انازعهم هذا الامر .

فقال أبو بكر : هـذا عمـر وعبيده فبـايعوا أيهما شئتم ·

فقالا : والله لا تتولى هذا الامر عليك وانت افضـل المهاجرين وخليفة رسول الله في الصلاة ، وهي افضل الدين ، ابسط يدك فلما بسط يده ليبايعاه سبقهما اليه بشير بن سعد فبايعه فناداه بن المنذر : يـا بشير غفتك العافية ، انفست على ابن عمك الامارة ·

فقال أسيد بن حضير رئيس الاوس لاصحابه : والله لان لم يبايعوا ابا بكر ليكونن للخزرج عليـكم الفضيلة ابدا· فقاموا فبايعوا ابا بكر ·

فانكر سعد بن عباد والخزرج فاجتمعوا عليه فبايعوه واقبل الناس من كل جانب ·

ثم حمل سعد بن عبـاد الى داره فبقي اياما وأرسل اليه ابو بكر ليبايع فقال :

لا والله حتى ارميكم بما في كنانتي وأخضب سنـان رمحي بسيفي ما اعطاني ، واقاتلكم بأهـل بيتي ومن معي ولو اجتمع معكم الجن والانـس حتى اعرض على ربي » (١) ·

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن ابي الحديد ـ ج ١ ـ ص ١٢٨ ·

كم هو مؤلم هذا الامر الذي صـار اليه المسلمون والنبي ما زال مسجى في بيته لم يوارى الثرى بعد ·

ترى لو لم يكن كل هذا، لو انهم اطاعوا الله ورسوله وساروا على الخطى التي رسمها رسول الله لهم ·· فكيف سيكون الآن ؟ وكيف سنكون نحن الآن ؟

هكذا استأثروا بالامر متـأولين نصوص النبي ، لا يلوون على شيء وقد قضوا أمرهم بدون ان يؤذنوا به احدا من بني هـاشم واولياءهم ، وأهـل بيت النبي ، وموضع الرسـالة ، ومختلف المـلائكة ومهبط الوحي والتنزيل ·· حتى كأنهم لم يكـونوا ثقـل رسول الله واعدال كتاب الله وامان الامة من الاختلاف (اهل بيتي امان الامة اذا خـالفتهم قبيلة ، اختلفوا وصاروا الى أبليس) « النبي ص » ·

وهم سفينة نجاة الامة وباب حطتهـا ، وكأنهم لم يكونوا من الامة بمنزلة الرأس من الجسد كما كان النبي يصرح بكل ذلـك دائما · (١) ولـكنهم ضربـوا بكـل النصوص عرض الحائط ، وأولوا ما استطاعوا تأويله· وما اكثر احاديثه (ص) في أهل بيته (٢) ·

(١) النص والاجتهاد عن السنن الصحيحة ص ٧٧ ·

(٢) يراجع كتاب المراجعات للسيد شرف الدين ، ففيه الكثير من لاحاديث والتفصيل ·

واستطاع ابو بكر بحذاقة الماهر أن يثير نعرة الجاهلية بين الاوس والخزرج وان يستغل اختلافهم لصالحه استغلالا جيدا ٠

« وابو بكر يقول : ان هذا الامر ان تطاولت اليه اليه الخزرج لم تقصر عنه الاوس » (١) ٠

واستطاع أن يستميل الاوس اليه ، فبادرت الخزرج للمبايعة ، لكي لا تكون الاوس عليها سابقة ٠

ويضيف ابو بكر : لقد كانت بين الحيين قتلى لا تنسى ، وجراح لا تداوى فان نعق منكم ناعق جلس بين لحيي أسد يمضغه المهاجرين ويجرحه الانصار

ويتضح لنا بشكل جلي وأوضح من شمس الظهيرة ان الامر لم يكن شورى كما ادعى بعض المؤرخين والكتاب بالاضافة الى واقع الاحداث الذي يفرض نفسه ، وبين بشكل صريح ان الامر لم يكن شورى بالاضافة الى هذا الواقع لا يوجد أي نص على أمر الشورى وحتى الذين ادعوا انه شورى لم يدعموا ادعائهم بنص او حديث او آية اشارة الى ذلك ٠

ان ترك أمر الخلافة للمسلمين يتولونه بأنفسهم عمل يستحيل أن يقره النبي فضلا عن أن يفعله ٠ وحاشا

(١) السقيفة نقلا عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٨١

للنبي ان يقف مثل هذا الموقف السلبي من الدعوة ، لان المسلمين سيواجهون امرا خطيرا بعد هذا الفراغ الذي سيتركه النبي (ص) ، وبعد الصدمة العنيفة بفقده وتسلمهم امرهم لاول مرة ، ولم يتسلموا أمر آية مسؤولية صغيرة في حياة النبي،فكيف بمثل هذا الامر٠

ولان المسلمين لم يكن لديهم ذلك النضج الرسالي المتكامل بحيث يتصدون للموقف ، بجدارة ويحلون المشكلة دون أن تقع بينهم الفتنة والتي وقعت بالفعل وكل هذا لا يمكن ان يخطيء فيه أي قائد جماعة عادي لانه سيلاحظ خطورته فكيف لا يتبين النبي (ص) هذه الخطورة على أمته.وان يفوته ان المسلمين لا يستطيعون التصدي لامر الخلافة بعده ابدا ، وهو اعلم الناس بأمته ٠

واننا لنرى ان المسلمين لم يستطيعوا أن يتجاوزوا مراحل النضج الرسالي التي تخولهم للقيام بمثل هذا العمل ، فنجدهم يتقاطرون على ابي بكر ويقولون « يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا ٠٠٠ » ٠ (١)

لانهم يخافون الفراغ الذي سيخلفه الخليفة ، اذا فالنبي يعلم أنه اذا لم يتدبر أمر الخلافة من بعده ،

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ــ ص ٢٦ ٠

سيكون مصير الدعوة سيئا جدا ... فهل يترکها لهذا المصير ...؟ طبعا لا .. والف لا .

لهذا فادعاء من ادعوا الشورى باطل وكذلك ادعاء ان النبي (ص) لم يتدبر هذا الامر ولم يوصي باطل ايضا .

وبئسا لمن يزيفون الحقائق وهي اوضح ما يكون للاعمى فضلا عن البصير .

يستطيع القاريء الكريم أن يرى مما سبق الحديث عنه من النصوص الكثيرة الواردة بوصاية علي (ع) . ومن بعثة اسامة وقصة الدواة والكتف والكثير من مواقف النبي التي لا يسع المجال لذكرها .

فسيجد ان النبي حاول كثيرا ، وبذل كل ما وسع من جهد ليدبر لهم أمرهم ولكنهم منعوه وتآمروا عليه وعلى الاسلام .

والنبي سعى منذ بدء الدعوة ، بل وقبل الدعوة حينما أخذ علي وسعى الى تربيته وأعده اعدادا كاملا لهذا الامر ...

ذلك ان الرسالة بحاجة الى وصي يقوم بأمرها بعد النبي ويكون عارفا تمام المعرفة الشمولية بها .

لان النبي لم يستطع أن يؤدي الرسالة بشكلها الشامل في مثل هذه الفترة التي فيها (ص) ، ورسالة الاسلام نظام حياتي فالنبي بين جميع جوانبها الرئيسية ، اما التفصيلات والدقائق والقضايا التي سيبتلي فيها المجتمع الاسلامي فيما بعد ، والتشريع المفصل وتأويل القرآن وجميع احكامه فهذا يحتاج الى فترة أطول بكثير من الفترة التي عاشها النبي وسيتولى كل هذا من بعد النبي وصيه الذي اعطاه الله سر النبوة وفتح له ابواب العلم والدراية ، واعطاه طاقة اشبه بما يعطيها لانبيائه وبأداء الوصي دوره ، تتكامل الرسالة .

ومن هو هذا الوصي؟هل هو من سائر الصحابة...؟ طبعا لا فالصحابة لم يكونوا ليهتموا بأمر الوصاية في حياة الرسول ، ويندر أن يسأله أحدهم ويطلب منه التفصيل حتى اذا سألوه فانهم يسألونه عما يحصل لهم لا عما سيحصل . لذلك نجد ان ابا بكر وكذلك عمر بن الخطاب قد عانا من هذا في خلافتهما ، فيستنجدون بالامام علي ليحل لهم ما أشكل عليهم .

وسنجد فيما بعد أن من راى رسول الله (ص) وبقي معه ليوم واحد سيطلق عليه صحابيا ، ويسئل عن أمور

الدين ، لان الناس لا تعرف عن امور دينها شيئا · واغلب الصحابة لا يعرفون الا النذر اليسير ، والنـاس بحاجة لتفهم أمور دينهم · ومن هنا تأتي أهميـة الولاية التي أكد عليها رسول الله (ص) ·

وقد اعترف ابو بكر بما اقدم عليه وندم ندما شديدا بعد البيعة مباشرة ، وظهر بشكل يبعث على الرثـاء ، وهو على فراش الموت ·

يقول ابن قتيبة في بعض كلام ابي بكر عمـا حدث بعد البيعة له :

« قال : ان ابا بكر رضي الله عنه تفقد قوما تخلفوا عند علي كرم الله وجهه · فبعث اليهم عمر فجاء،فناداهم وهم في دار علي ، فابوا ان يخرجوا ، فدعا بالحطب · وقال : والذي نفس عمر بيده لتخرجن او احرقها على من فيها ، فقيل له : ان فيها فاطمة · فقال : وان ·

فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال : حلفت ان لا اخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى اجمع القرآن ·

فوقفت فاطمة رضى الله عنها على بابها فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا اسوء محضر منكم · تركتم رسول الله (ص) جنازة بين ايدينا وقطعتم امركم بينكم ، ولم تستأمرونا ولم تردوا حقنا ·

فأتى عمر ابا بكر فقال : الا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر لقنفذ وهو مولى لـه : اذهب فادع عليا وقل لـه ان خليفة رسـول الله يدعوك ، فأتاه قنفذ فبلغه الامر فقال علي : لسريع ما كذبتم رسول الله ·

فرجع قنفذ فابلغ رسالته ·

قال فبكى ابو بكر طويلا · فقال عمر ثانية : لا تمهل هذا المتخلف عن البيعة · فقال ابو بكر : عد اليه فقل له خليفة رسول الله يدعوك لتبايع فجاء قنفذ فأدى مـا أمر به ·

فرفع علي صوته فقال : سبحـان الله لقد ادعى ما ليس له · فرجع قنفذ فـابلغ رسالته ، فبكى ابو بكر طويلا ··· » ·

ويذكر ابن قتيبة كيف ان ابا بكر اراد ان يسترضي فاطمة وهي تظهر السخط عليه ··· ويذكر ايضا انه طلب اقالته من أمر البيعة فقال : اقيلوني بيعتي ·(١)

وكذلك انه صرح ان بيعته فلته وقى اللـه المسلمين شرها · (٢)

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٤ ·

(٢) شرح ابن ابي الحديد ص ١٢٤ـ١٢٦ ·

أما عمر فقد كشف عن المؤامرة بنفسه فى أكثر من موقف • وهذا ابنه عبيد الله بن عمر بن الخطاب يتحدث عن ذلك :

« قال عبيد الله : أشهد اني كنت يوما عند ابي فقال: أفي غفلة أنت الى يومك هذا عما كان من تقدم أحيمق تيم (أبو بكر) عليّ وظلمه لي ، فقلت : لا علم لي بما كان من ذلك الامر ، فقال : يا بني فما عسيت أن تعلم، فقلت والله لهو أحب الى الناس من ضياء أبصارهم فقال ان ذلك لكذلك على رغم أبيك ، فقلت : يا ابتي أفلا يخلي عن فعله بموقف فى الناس تبين ذلك لهم •

فقال: وكيف لي ذلك مع ما ذكرت انه أحب الىالناس من ضياء أبصارهم • اذاً يرضخ رأس أبيك بالجندل ، فقال ابن عمر : ثم جاسر والله فجسر، فما دارت الجمعة حتى قام فى الناس خطيبا ، فقال أيها الناس ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها ، فمن دعاكم الى مثلها فاقتلوه » •

وروى هذا ابن مسعود ، وابن عباس الذي أضاف ان عمر قال ان خلافة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، قالها على رؤوس الاشهاد من المهاجرين والانصار ، واني أقولها لان عمر قالها ولم يخف فلمَ أخف انا ، واحفل بالامر فأذيعوه عني • وفى نهاية خطبة عمر يقول فيها:

والهفاه على ضئيل بني تميم بن مرة ولقد قدمني منها، أما والله لو كنتأطعت يزيد بنالخطابوأصحابه، لم يتلمظ من حلاوتها بشيء أبدا ، ولكني قدمت، وأخّرتُ ، وصمدت وصوبت ، ونقضت وابرمت ، فلم أجد الا الاغضاء على ما نشب به منها ، والتلهف على نفسه » •

ويقول أيضا في ذلك اليوم :

ان أبا بكر بلغه كلام مني عليه فقال لي :

أنت صاحب الكلام يابن الخطاب •

قلت : نعم يا عدو الله ولك عندي شر من ذلك فقال: بئس الجزاء هذا لي عندك • قلت : علام تريد مني حسن الجزاء •

قال : لأنني لك من اتباعهذا الرجل، والله ما جرأني على الخلاف عليه « تقدمه عليك وتخلفك عنها ، ولو

كنت صاحبها لما رأيت مني خلافا عليك » ·

قلت : لقد كان ذلك ، فما تأمر الان قال : انه ليس بوقت أمر بل وقت صبر ، ويضيف عمر بن الخطاب: ان أبا بكر وصله كلام عني مرة أخرى فأرسل الي بعتاب مؤلم ، فأرسلت اليه ، أما والله لتكفنّ أو لاقولن كلمة بالغة بي وبك فى الناس تحملها الركبان حيث ساروا · وان شئت استدمنا على ما نحب فيه عضدا ·

فقال : بل نستديم وانها لصائرة اليك بعد أيام ، فظننت أنه لا يأتي على جمعة حتى يردها الي ، فتغافل والله وما ذكرني بعد ذلك حرفاً حتى آيس منها ·

ثم أنه قال للعباس : ان قريش كرهت أن تكون الخلافة والنبوة فى بني هاشم (١) ·

والنصوص التي تبين هذه الحقيقة المرة متوفرة بكثرة فى التاريخ · ونترك للقارىء الحكم دون أن نعلق ·

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ، ص ١٩ ·

خلافة ابي بكر ···· والردة :

تمت البيعة لابي بكر سنة احد عشر للهجرة · وسكت امير المؤمنين عن المطالبة بحقه حقنا للدماء وساير الحكم حفاظا على بيضة الاسلام ، وبقي طيلة خلافة ابي بكر يرعى الرسالة ويؤدي التبليغ ما استطاع الى ذلك سبيلا · ويحفظ السنة من التحريف ما امكن · ويرشد ابا بكر ويدله على الصواب كلما أخطأ ويقف الى جانبه في كل الامور العضال التي واجهها الخليفة الاول ، وخاصة تلك المشاكل التي نشأت عن فتنة السقيفة ··· وابو بكر يشير الى فضل الامام علي في كثير من مواقفه وكلامه·

ان من اهم المشاكل التي واجهتها خلافة ابو بكر هي الردة التي حدثت في اول خلافته ·

فقد ارتدت جماعات كثيرة عن الاسلام وكانت حروب الردة المعروفة في التاريخ · والذي يؤكده التاريخ : ان أهم اسباب الردة هي فتنة السقيفة ·

أما الذين ارتدوا فهم قسمان :

قسم ارتد عن الاسلام لانه وجد أمر المسلمين قد صار الى مهزلة بعد وفاة رسول الله (ص) فارتدوا · او لانه منافق وكان ينتظر مثل هذه الفرص ، او لانه اسلم في عهد قريب ولكن الاسلام هبط في نظره

الى الدرك الاسفل فارتد عن الاسلام واعرض عنه ·

اما القسم الثـــاني : فهم مسلمون ولم يرتدوا عن الاسلام وانما عارضوا بيعة ابي بكر وامتنعوا عن دفع الزكاة له ومنهم من أهل اليمن ·

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ، قصة مقتل مالك بن نويرة وهي مشهورة في التـاريخ فقد قتل خالد بن الوليد المخزومي بدم البطاح مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن ثعلبة بن يربوع التميمي وزنى بزوجته ام تميم بنت المثال وكانت من اجمل الناس · ثم رجع الى المدينة وقد غرز في عمامته اسهما · » ·

فقام اليه عمر فنزعها وحطمها وقال له (كمـــا في تاريخ الطبري) قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على زوجته، والله لارجمنك باحجارك · ثم قال لابي بكر (كمـــا في ترجمة بن موسى من وفيات ابن خلكان) : ان خالد قد زنى فأرجمه ·

قال ابو بكر : ما كنت لارجمه فأنه تأول فأخطأ ·

فقال عمر : انه قتل مسلما فاقتله به ·

قال : ما كنت لاقتله ، انه تأول فأخطأ ·

وودى ابو بكر مالكـا من بيت المـــال وفك الاسرى والسبايا ·

وهذه الوقعة من المسلمات ولا ريب في صدورها من خالد (١) · وفي خلافة ابي بكر الكثير مما يذكر وهو مشهور في التـــاريخ الا انه لا يدخـــل في صـــلب موضوعنا ···· ·

وفارقت الحياة حبيبة رسول الله :

بعد البيعة لابي بـكر بخمسة وسبعين يوما · (٢) فارقت الحيـــاة حبيبة رسول اللـه متأثرة بعلتها التي اصابتها بعد وفاة أبيها وبعدمـــا تجرأ عليها القوم · ذهبت الى والدهـــا لتشكو له مـــا لاقته من امته بعد وفاته (ص) ·

لقد ماتت حبيبة النبي (ص) وفلذة كبده كمدا ·· وقد اخطأ معها ابو بكر مرتين : ـ

مرة عندما أغتصب حق زوجها بالخلافة فغضبت لدين

(١) ذكرها محمد بن جرير الطبـــري ، وابن الاثير في كامله ، ووثيمة بن موسى بن الفرات ، والواقـــدي في كتابيهما ، وسيف بن عمر في كتاب الردة والقنوع ، والزبير بن بكـار في الموفقيات ، وثابـــت بن قاسـم في الدلائل ، وابن حجر العسقلاني وكثيرون غيرهم ، والكل ذكر اعتذار ابو بكر عن خالد بانه تأول فاخطأ ·

(٢) الفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ٥٨ ·

ابيها وخشيت عليه مما ألم به بعد الاغتصاب من التحريف ، وانهم تعمدوا أهانتها وحرق بيتها ·

وارتكبوا في حقها اثما اخر في مرة أخرى اذ أنتزع منها ابو بكر أرض «فدك» وصادرها عنوة وظلما· وكان النبي قد وهبها لها وهي تتصرف بها طيلة حياة الرسول·

ولا بد لنا من الوقوف قليلا والتأمل في قصة فدك : فقصة فدك غريبة عجيبة :

انها قرية حجازية صغيرة افاء الله بها على الرسول(ص)ووهبها الرسول في حياته لابنته فاطمة(ع) بعد أن غرس فيها بيده الكريمة احدى عشرة نخلة ، فكانت فاطمة هي التي تتصرف بفدك منذ أن وهبها لها ابوها (ص) ·

وجاء ابو بكر فجردها ملكها وانتزع فدك منها· وقال سمعت رسول الله يقول : نحن معاشر الانبياء لا نورث·

وكانه الوحيد الذي همس له النبي (ص) بهذا الحديث · اذ لم يسمعه احد سواه ،وكم استغربت فاطمة وعلي وغيرهما هذا الحديث اذ الاجدر ان يسمعاه هما ·

ثم انها ليست ميراث، وانما امتلكتها في حياة ابيها· والغريب ان فدك ظل يتوارثها الخلفاء من بعد ابي بكر

حتى زمن الامويين ، اذ ارجعها عمر بن عبد العزيز ، ثم اخذها ابنه ، وفي زمن العباسيين ارجعها السفاح ، وقبضها المنصور ، وأرجعها المأمون ·

ومما يذكر أن فاطمة (ع) ناقشت أبا بكر هذا الامر في خطبتها المشهورة في مجلسه واثبتت حقها وأنكرت عليه ظلمه هذا فقالت :

يا ابن ابي قحافة (١): أفي كتاب الله انك ترث اباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا ، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء اظهركم ، وذكرته بآيات القرآن التي تبطل ادعائه « وورث سليمان داوود » «رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث آل يعقوب » ·

ويجدر بنا أن نسلط الضوء على خلافة ابي بكر لنستجلي بعض الحسن فابو بكر تولى الخلافة ، وتحمل هذه المسؤولية على عاتقه وحاول أن يسير بها نحو الافضل ولا يمنع كونه أخطأ ولم يمنع ذلك من أنه أدى شيئا وتحمل هذا الامر الشاق جدا ·

ولكن هل استطاع ان يسير بها الى جادة الصواب؟··

وكما هو واضح فالمسؤولية كبيرة جدا ، انها ولا شك

(١) علي ومناوؤه عن فتوح البلدان ص ٤٦ـ٤٧ـ٥٤ ·

اكبر منه بكثير وتتطلب رجلا أعد اعدادا دقيقا لهـا ٠ وتتطلب رجلا اعطـاه الله من الميزات والطاقة مـا لم يعطها لاي انسان وهذه الطاقة والقدرة تخوله لحمل مثل هذه المسؤولية بالشكل المطلوب ٠

انها تتطلب انسانا اعده النبي وهو صاحب الدعوة ، فهو الانسان الوحيد الذي يتمكن من السير بالرسـالة قدما ويثبت أوتادها راسخة لا تميل ٠

وابو بكر اعترف مرارا بـأن الخلافة اكبر من ان يتحمل مسؤوليتها . وكم طلب اقالته منها وكم شكى منها في مرضه ٠

وهو يشكو لعبد الرحمن منها

فيقول له عبد الرحمن: خفض عليك من هذا يرحمك الله فان هذا يهبط على ما بك وانما النـاس رجلان : رجل رضي ما صنعت فرأيه كرأيك ورجل كره ما صنعت فاشار عليك برأيه ٠ (١)

وعلى أي حال فقد عهد بالخلافة لعمر بن الخطاب ، وهو مجبر على ذلك والا قال فيه كلمة بالغة تتحدث فيها الركبان ـ كما سبق الاشارة اليه ـ ٠

(١) الامامة والسياسة ص ١٨ ٠

وابو بكر لا يستطيع أن يخلف ما تعاهدا عليه أيـام مرض النبي (ص) وقيل أن ابـا بكر دعى وهو يجود بنفسه عثمان بن عفان ليكتب العهد ٠ فقال له : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا مـا عهد به عبد الله بن عثمان ـ وهو اسم ابي بكر ـ الى المسلمين كافة ٠٠ ثم اغمى عليه ٠٠٠ ولم يكمل ٠ فكتب عثمان: قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فلما افاق ابو بكر قال له اقرأ ما كتبت فقرأ ٠ فاستحسن ابو بكر ذلك وأقره ٠ (١)

لم يترك ابو بكر أمر الولاية شورى كما فعل النبي (كما يدعي المدعون) فكان ادرى من النبي (ص) واكثر حكمة وحصافة من الرسول الكريم هذا ما يريده أولئـك المدعون ؟!! ٠

عمر بن الخطاب والحكم : ـ

كتب ابو بكر بالخلافة من بعده لعمر بن الخطـاب ، وعقدها له واستلم عمر زمام الحكم سنة ثلاث عشرة من الهجرة في جمادي الاول وبقي في الـحكم عشر سنين حتى سنة ثلاثة وعشرين من الهجرة ٠ (٢)

استقبل الناس حكم عمر بن الخطاب منهم السـاخط

(١) الامامة والسياسة ص ٢٠ ٠
(٢) شرح نهج البلاغة مجلد ١ ـ ص ٥٦ ٠

ومنهم المستنكر ، وفيهم الراضي والقانع ، وفيهم المسرور والجذلان فرحا ...

فطلحة بن الزبير يقول لابي بكر :

انه بلغني انك استخلفت على الناس عمر،وقد رأيت ما يلقى الناس منه ، وانت معه ، فكيف به اذا خلا بهم وانت غدا ملاقي ربك فيسألك عن رغبته . (١)

وحكم عمر المسلمين وكان طيلة مدة حكمه مرتجلا في احكامه يصدر حكما ثم ينقضه ، ويفتي خلافه .

وقال مرة : لا يبلغني أن أمرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي الا ارجعت ذلك منها فقالت له أمرأة ما جعل الله لك ذلك ، انه تعالى قال ، وان آتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، اتأخذونه بهتانا واثما مبينا .

فقال عمر : كل الناس افقه من عمر حتى ربات الجمال ، الا يعجبون من امام اخطأ ، وامرأة اصابت ، فاضلت امامكم ففضلته . (٢)

وقيل ان عمر كان يعس الليل فسمع صوت رجل وأمرأة في بيت فارتاب ، فتسور الحائط ، فوجد امرأة

(١) شرح نهج البلاغة مجلد ١ ـ ص ٥٤ .
(٢) شرح نهج البلاغة مجلد ١ ـ ص ٦١ .

ورجلين وعندهما زق خمر .

فقال : يا عدو الله ، اكنت ترى ان الله يسترك على معصية .

قال : يا أمير المؤمنين ان كنت اخطأت في واحدة فقد اخطأت بثلاث ، قال الله تعالى : لا تجسسوا وقد تجسست، وقال الله تعالى : وأتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت، وقال الله تعالى : اذا دخلتم بيوتا فسلموا ، وما سلمت . (١)

وعلم مرة بأن عامله على ميسان قال شعرا يتغنى فيه بالخمرة فعزله وهو لم يذوقها . (٢)

واستعمل رجلا من قريش على عمل فبلغته عنه انه قال :

اسقني شربة تروي عظامي ثم مل فاسق مثلها ابن هشام

فاشخص اليه عمر ، وقطن القرشي ، فضم اليه بيتا آخر ، فلما مثل بين يديه . قال : أنت القائل أسقني .

قال : نعم يا امير المؤمنين ، فهلا ابلغك الواشي ما بعده .

فقال : وما بعده

(١) نفس المصدر السابق .
(٢) الكامل لابن الاثير ج ٣ ـ ص ٩٨ .

قال : عسلا باردا بماء غمام اني لا أحب شرب المدام
فقال عمر : ارجع الى عملك (١) ٠

نقلنا هذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ٠

هكذا كان يتفقه عمر وهناك امثلة لا سبيل الى حصرها وانها تدل دلالة واضحة على انه كان مرتجلا بأحكامه ، وقد تكون مخالفة لسنة النبي (ص) ٠

وفي كتاب فتوح البلدان امثلة كثيرة تدل على انه حرّف السنة ، حسبما يشتهي وتسول له نفسه ، وكيفما يشاء (٢) ٠

وحتى انها مخالفة لسيرة ابي بكر ومن امثلتها تمزيقه لصك فدك وكان أبو بكر قد كتبه لفاطمة ٠

وعمر نفسه يصرح بأنه خالف النبي ويخالف في كثير من المواقف ٠ انه يقول في احدى مواقفه المشهورة : متعتان كانتا على عهد رسول الله وانا احرمهما واعاقب عليهما (٣) ٠

هذا هو أمر عمر مع المسلمين والاسلام ولكن الامام

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ــ ص ٩٨ ٠
(٢) يراجع فتوح البلدان ص ٣٦ـ٣٩ـ٤٣ ٠
(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ــ ص ٦١ ٠

علي (ع) كان يتصدى بشدة ويقف دون ضياع السنة ٠ وثم يعلمه ويرشده ٠٠٠ ولعمر مقالات في الامام علي (ع) :

فكلمته المشهورة « لولا علي لهلك عمر »

و « علي اقضانا ، و « لو ولاها الاحلج لسار بها الى الجادة » ٠٠٠ وغيرها من المقالات الكثيرة التي تناقلها كل الرواة ٠

وبعد عشر سنين من توليه الحكم ، طعنه ابو لؤلؤة بخنجره فمات بها ٠

وهناك ملابسات كثيرة حول مقتله ٠

والحق ان ابا لؤلؤة انتقذ عمر بن الخطاب من موتة شنيعة اذ كان ينتظره نفس المصير الذي صار اليه عثمان فيما بعد وهذا ما نستطيع ان نستنتجه من سيرة عمر في خلافته ورداءة حكمه وتحوله من سيء الى اسوء باستمرار ، وظهور السخط بين عامة الناس ٠ وسماع صرخات الاستنكار بين الجمهور ٠ فلو أن الله أمد في عمره من ذلك فمن المتوقع ان يلاقي نفس مصير عثمان ابن عفان ٠ اذ أن سيرة عثمان في الخلافة ما هي الا تكملة لسيرة عمر بن الخطاب ، واستمرار لكل الفوارق الطبقية التي اوجدها ٠٠

شورى ابن الخطاب :

كانت الشورى التي ابتدعها عمر بن الخطاب من نوع غريب لا يخطر ببال أحد ، وكان الاحرى به ان يعتدل قليلا وهو في آخر ساعاته من فراق الدنيا ولقاء الاخرة ·

والشورى التي اقترحها أثارت البلبلة وزادت في المسلمين خلافا وضياعا ·

والشورى التي جاء بها هي :

« قال عمر : سأستخلف النفر الذين توفي رسول الله وهو راض عنهم » ·

فارسل اليهم فجمعهم وهم : علي بن ابي طالب ، طلحة بن عبد الله ، الزبير بن العوام ، وسعد بن ابي وقاص ، عبد الرحمن بن عوف ، عثمان بن عفان ·

وكان طلحة غائبا ، فقال يا معشر المهاجرين الاولين ، اني نظرت في امر الناس فلم أجد فيه شقاقا ولا نفاقا ، فان يكن بعد شقاق ونفاق فهو فيكم ، تشاوروا ثلاثة ايام فان جاءكم طلحة الى ذلك ، والا فاعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا في اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم ، فان امرتم عليها طلحة فهو لها أهل ·

وليصل بكم صهيب هذه الايام الثلاثة التي تتشاورون

فيها ··· الى أن قال : ان استقام امر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام أربعة وخالف اثنان فاضربوا عنقيهما ، وان استقر على ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابني عبد الله » · (١)

ورواها ابن ابي الحديد « ··· وان اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر التي فيها عبد الرحمن بن عوف ، فارجع الى ما اتفقت عليه » (٢) ·

وبعدها خاطبهم عمر فقال لسعد بن ابي وقاص ، والله ما يمنعني ان استخلفك يا سعد الا شدتك ، وغلظتك مع أنك رجل حرب ·

وما يمنعني منك يا زبير الا انك مؤمن الرضا كافر الغضب · وما يمنعني من طلحة الا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه في أصبع امرأته ·

وما يمنعني منك يا عثمان الا عصبيتك وحبك قومك واهلك · وما يمنعني منك يا علي الا حرصك عليها وانك أحرى القوم بها وان وليتها ان تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم (٣) ·

(١) الامامة والسياسة ص ٢٤ ·
(٢) شرح ابن ابي الحديد ص ٦٢ ـ ج ٣ ·
(٣) الامامة والسياسة ص ٥٥ ·

اما ابن ابي الحديد فيزيد على هـذا فيقول للزبير انك يوما انسان ويوما شيطان الى آخر قوله ...

وقال لطلحة : لقد مات رسول الله وهـو عنك ساخط بالكلمة التي قلتها يوم انزلت آية الحجاب « وهي سيموت غدا فننكحهن » .

وقال لعلي : لله لولا دعابة فيك أما والله لئن وليتها لتحملهم على الحق الواضح والحجة البيضاء ...

هذا هو أمر شورى ابـن الخطاب ويستطع أي قاريء ان يرى مدى خطورة هذا الوضع وما سيثيره من متاعب، وعصبيات وغيرهـا . ولـن يحتاج القاريء الى نباهـة شديدة لكي يتبين الامر فهو مـن أوضح المسلمات لذلك استعرضه استعراضا واترك الحكم للقاريء .

« ولما دفـن عمر جمعهم أبـو طلحة ووقف على باب البيت في خمسين من الانصار حـاملي سيوفهم ـ كمـا أوصاه عمر ـ ثم تكلم القوم وتنازعوا وأول ما عمل به طلحة انه اشهدهم على نفسه . انـه قد وهب حقه مـن الشورى لعثمان وذلـك لعلمه ان الناس لا يعدلون بـه عليا وعثمان وان الخلافة لا تخلص له وهذان موجودان فاراد تقوية أمر عثمان واضعاف جانب علي (ع) .

وقال الزبير في معارضته وانا أشهدكم نفسي اني قد

وهبت حقي من الشورى لعلي (ع) وانما فعل ذلك لانه لما رأى عليا قـد ضعف وانخذل بهبة طلحة حقه لعثمان ، دخلته حمية النسب لانـه ابـن عمة علي ، وانما انحاز طلحة لعثمان لانه تيمي وبين تيم وهاشم حنق شديد لاجل الخلافة وبذلك بقي مـن الستة أربعة فقال سعد بن ابي وقاص وأنا قد وهبت نفسي لابن عمي عبد الرحمن بن عوف ويكون اليه الاختيار . وذلك لانهما من بني زهرة. ويقربا عثمان من النسب (١) ولعلم سعد ان الامر لا يتم له فلما لـم يبق الا الثلاثـة قـال عبد الرحمن لعلي وعثمان ايكما يخرج نفسـه مـن الخلافـة ويكـون له الاختيار ، فلم يتكلم منهما أحـد ، فقال عبد الرحمن : اشهدكم اني قد أخرجت نفسي مـن الخلافـة على أن اختار احدهما .

فأمسكا . فبدأ بعلي (ع) وقال له :

أبايعك على كتاب الله وسـنة رسـول اللـه وسيرة الشيخين ابي بكر وعمر .

فقال : بل على كتاب الله وسنة رسول الله ، واجتهاد رايي . فعدل عنه الى عثمان فعرض عليه ذلك .

(١) فعبد الرحمن بن عوف صهر عثمان ، وام كلثوم زوجة عبد الرحمن هي اخت عثمان .

فقال : نعم ·

فعاد الى علي فاعاد عليه قوله ، فعل ذلك ثلاث مرات فلما راى ان عليا غير راجع وان عثمان ينعم له بالاجابة ·

ضرب على يد عثمان وقال : السلام عليك يا امير المؤمنين (٢) ·

الحكم ··· وعثمان بن عفان

بايع الناس عثمان وغالبهم مكره وغير راض على البيعة ·

واستجد على البيعة في الاسلام سنة الشيخين فقد بويع لعثمان على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين ··· !!

ولكن عثمان لم يف ببيعته ، ولم يسر لا على كتاب الله ولا على سنة رسوله ولا حتى على سيرة الشيخين ·

وقد بلغ امر الاسلام في عهده مبلغا مؤلما يشق على المرء تذكره او الحديث عنه ·

وقد افشى عثمان العمل والولايات في أهله وبني عمه

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ـ ص ٦٢ ·

ومن بينهم احداث وغلمة لا صحبة لهم برسول الله ولا تجربة لهم بالامور ولا صلة لهم بالاسلام سوى الشهادة التي يظهرونها ·

فكان أغلب الولاة من بني أمية حتى انه جعلها دولة أموية ···

ومن ولاته الوليد بن عقبة ، عامله على الكوفة والذي صلى بأهل الكوفة صلاته وهو سكران فصلاها أربع ركعات وقال لهم : ان شئتم لازيدنكم ، ولم يقم عليه عثمان الحد !! ·

واستغنى بهؤلاء الغلمان عن المهاجرين والانصار ، فلم يستعملهم على ولاية ولا يستشيرهم في أمر ···

وطلب عبد الله بن خالد بن اسيد صلة فاعطاه اربعمائة الف درهم وحمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم الا عن بني أمية ، واعطى عبد الله بن سرح جميع ما افاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب وهي من طرابلس الغرب الى طنجة من غير ان يشركه احدا من المسلمين · واعطى ابي سفيان بن حرب مائتي الف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة الف من بيت المال وفي اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة الف من بيت المال وقد كان زوجه

ابنته أم أبات فجاء زيد بن الارقم وكان صاحب بيت المال بالمفاتيح ووضعها بين يدي عثمان وهو يقول : والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا ·

فقال عثمان : ألق المفاتيح يا أبن الارقم فانا سنجد غيرك ·

وأتاه ابو موسى باموال من العراق جليلة فقسمها كلها في بني أمية وانكح الحرث بن الحكم ابنته عائشة فاعطاه مائة الف درهم من بيت المال أيضا ، وتنضم الى هذه الامور أمور أخرى نقمها المسلمون منها نفي ابي ذر الى الربذة بعدما عذبه ·

وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر اضلاعه ، وما أظهره من الكف عن طريقة عمر في أقامة الحدود ورد المظالم وكف الايدي العادية ، والانتصاب لسياسة الرعية وختم ذلك ما وجدوه من كتابه لمعاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين (١) ·

وكذلك يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين في مصر · وضربه المبرح لعمار بن ياسر حتى فتق بطنه وكاد يجهز عليه ، وصار أمر المسلمين الى الهلاك في عهده وضج المسلمون بظلمه وجوره ونقموا عليه في جميع الامصار

(١) شرح ابن ابي الحديد ج ١ ـ ص ٦٨ ·

والبلدان فجاءه أهل البصرة ثائرين وقد قرروا قتله بعد أن شكوا اليه عامله عليها فلم يسمع لهم ، وكذلك جاءه أهل الكوفة وأهل مصر ، واجتمعوا عليه مع الانصار والمهاجرين فحاصروا بيته أربعين يوما وحاول الامام علي جهده أن يصلح ذات بينهم فما سمع له عثمان · فبلغ السيل الزبى وفاض الكيل فهجموا عليه وقتلوه شر قتلة ، ومثلوا به ·

مات عثمان بن عفان بطغيانه وجوره وانحرافه الخطير عن السنة الطاهرة بعد أن احدث في الاسلام شرخا ، ماله من اصلاح ولا رتق واضاع الكتاب والسنة ·

الفصل الرابع

بيعة الجماهير الكبرى :

في هـذا الجو العاصف والاضطراب الملتهب والغضب المزبد المرعد ترك عثمان الخلافة بعد أن تصدع الاسلام وتداعى واصبح المسلمون كالهشيم تذروه الرياح ·

جاء في تاريخ الطبري ما نصه :

قال محمد بن الحنيفة كنت مع أبي حين قتل عثمان فقام فدخـل منزلـه فأتـاه اصحاب رسول الله (ص) · فقالوا : ان هذا الرجل قد قتل ، ولا بد للناس من أمام ، ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الامر منك ، لا أقـدم ولا أقرب منك الى رسول الله (ص) ·

فقال (ع) : لا تفعلوا فاني اكون وزيرا خير من أن اكون أمير ·

فقالوا : لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك ·

قـال : ففي المسجد ، فان بيعتي لا تكون الا عن رضى المسلمين ·

قال سالم بن جعدة : فقال عبد الله بـن عباس فلقد

كرهت أن يأتي المسجد مخافة ان يشغب عليه وأبي هـو الا المسجد ·

فجاء المسجد فبايعه الصحابة ثم بايعه الناس (١) ·

وأورد الطـبري ايضـا ان أول مـن بايعـه طلحـة والزبير (٢) ·

وكانت البيعة للامام سنة خمس وثلاثين من الهجرة · يوم الجمعة هرع المسلمون الى علي يعتصمون به من ذلك البلاء المفجع الـذي صاروا اليـه وليس سـواه مـلاذا يلوذون به ·

وابن قتيبة يذكـر في كتابـه : ان الناس اجتمعوا بالمسجد ، واكثروا على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان ·

ويروي ايضا ان عائشة خـرجت باكية تقول : قتل عثمان رحمه اللـه ، فقال لهـا عمـار : بـالامس كنت تحرضين الناس على قتله واليوم تبكينه (٣) ·

ويروي عن البيعة أيضا رواية مفصلة يبين فيها كيف

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ـ ص ١٥٢ ·
(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ـ ص ١٥٢ ·
(٣) الامامة والسياسة ص ٤٦ ·

اجتمع الناس عليه وكيفية بيعته والكل مصر عليها (١)·

ومن رواية الطبري وابن قتيبة وكل المؤرخين نستدل على أن بيعة الامام علي كانت الاولى والاخيرة من نوعها تمت باجماع المسلمين عليه . واصرارهم على مبايعته ، وهذه البيعة لم يحدث مثلها في تاريخ الاسلام كافة ·

تسلم الامام علي الحكم بعد أن بايعوه خليفة عليهم ··· ولكن بعد فوات الاوان ولو كانوا فعلوها منذ بدء الامر لما جرى عليهم ما جرى ولن يجري ما سيجري في عهد خلافته ·

سلموه قيادتهم بعدما صنعوا ما سجله التاريخ من مثالب لن تراب ·

كان التاريخ يكتب بحزن وأسى ، فالخطر يحيط بالمسلمين من كل جانب وهم يتهاوون وقد تلبستهم الفتنة ، والاحداث تجري بجنون مسرعة نحو الهاوية · تندفع بها تلك العاصفة الهوجاء الى تلف الاسلام ودماره، وانحطاط المسلمين ، واللحظات تتسارع فتدني المسلمين من هذا المصير المشؤوم الذي صير الاسلام اليه الذين سبقوا ···

وقف امير المؤمنين علي (ع) موقفه الصعب المراس ،

(١) الامامة والسياسة ص ٤٦ ·

والعظيم الشاق · وقف يطل بنور ايمانه على ذلك الطريق الوعر الشائك وما يحف به من الاهوال والعثرات ، والمكايد المحفورة فيه ··· وقف متصبرا محتسبا بالله وبعزيمة ايمانه ·

وقف ذلك البطل الصنديد والنبراس العتيد مشفقا على نفسه من وعورة الطريق ··· وطفق محاولا ان يستعيد للاسلام شيئا من هيكله ، وبعضا من قواه ، ونذرا من نضارته ، ويسيرا من علاه ···

ولكن كيف سيبدأ ··· ؟ وبم ؟ ومن اين ؟ وبماذا ؟

فأني التفت وجد الدمار والخراب والخطر يتهدده·

بأي تلك المعن المتراكمة كالجبال يبدأ المكابدة ؟

سبق وان ذكرنا ما كان لعلي مع العرب عامة واهل مكة خاصة من عداوة بسبب كثرة ما قتل منهم في بدء الدعوة · وما في أنفسهم من غيض مكتوم ، وحقد دفين، وثارات كامنة في قلوبهم حتى حين ، والان جاء الحين الذي ينتظرون ···

هي ذي الفرصة مؤاتية ، قد كانوا من قبل يتلظون في انتظارها وبدأت تلك النزعات القديمة تعلن عن نفسها بصور شتى والوان مختلفة · تخفي جاهليتها أحيانا ، وتعلن عصبيتها أحيانا أخرى ·

وهؤلاء كثيرون ... اولهم عائشة ، فقد كانت من أشدهم حقدا واعظمهم شرا على الامام (ع) .

وتمتد جذور عداوتها للامام علي (ع) الى بدء حياتها كزوجة للنبي (ص) وفرصتها سانحة الان ...

فالناس ينتظرون ماذا سيفعل الامام علي (ع) بعد مقتل عثمان ، وهناك من يطلب الثأر له والقصاص من القاتلين ، ولم ينتظروا به حتى تسكن العاصفة ، وتهدأ الثورة ويفيء المسلمون الى الطمأنينة والاستقرار فيستطيع ان يحكم وسينال بحكمه كل جزائه ...

واذا ارادوا القصاص فممن سيقتص الامام ؟

أيقتص من الذين حاصروا دار عثمان وهم ألوف مؤلفة ، الحق ان عامة المسلمين متهمين بقتل عثمان ..

وقد يكون لهم مبرر ... وقد شرح الامام (ع) الوضع فقال :

« يا أخوتاه اني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم ، وها هم اولاء قد ثارت معهم عيدانهم ، والتفت اليهم اعرابهم ، وهم خلالكم يسومونكم وهل ترون موضعا نقدره على شيء تريدونه ...

ثم يقول (ع) : ان الناس من هذا الامر اذا حرك على أمور : فرقة ترى ما ترون .

وفرقة ترى ما لا ترون

وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك ، فاصبروا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة ، فاهدؤا واعين ، وانظروا ماذا يأتيكم من أمري ، ولا تفعلوا فعله تضعضع قوة ، وتسقط منه ، وتورث وهنا وذله ، واذا لم أجد بدا ، فآخر الدواء الكي (١) » .

وبهذه الكلمات العظيمة صور الامام الموقف أروع تصوير وكشف عنه أجلى كشف ، ولكن القوم عموا ، وصموا .

ويجدر بنا أن ننوه في هذا المقام قليلا عن الخلاف القديم بين عائشة والامام علي (ع) .

زواجها بالنبي (ص) . يقول ابن ابي الحديد : « ان الضغن كان بينها وبين فاطمة وذلك لان الرسول (ص) كان يحب فاطمة حبا شديدا واكرمها اكراما عظيما ، اكثر مما كان الناس يظنون واكثر من اكرام الناس بناتهم حتى خرج بها عن حب الآباء للابناء ، وكان يذكرها بكل الخير وامام كل الناس في مقامات مختلفة وطيلة فترة حياته . فكان يقول فيها : انها سيدة نساء العالمين ، وانها ... ، وانها اذا مرت يوم الحشر نادى

(١) نهج البلاغة ص ١٦٧ .

منادي من جهة العرش يا أهل الجمع غضوا ابصاركم ، ونكسوا رؤسكم فهذه فاطمة بنت رسول الله تريد أن تعبر ·

ويقول ان الله زوجها بشهادة الملائكة ·

وكما قال : فاطمة ابنتي يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها (١) ·

والنبي (ص) كلما زاد فاطمة تبجيلا وحبا ، واعظم قدرها كلما زاد في قلب عائشة الحقد عليها · وكذلك الامام علي (ع) فان حب الرسول له وتقريبه منه وخصه باكثر اوقاته جعل قلب عائشة يغلي بالضغينة عليه ·

ومن الاسباب المهمة في هذا العداء هو عقم عائشة وحب رسول الله للحسن والحسين وتبنيه اياهما ··· فعائشة تجدهما دائما في احضانه وفي حجره ···

هذه الاسباب وغيرها من الاسباب الكثيرة التي يطول المقام بذكرها هي التي جعلت عائشة تكره علي وتكن له الحقد ·

وتبلغ كراهيتها لعلي ذروتها عندما يوصي النبي (ص) لعلي بالخلافة ويؤكد على ذلك مرات

(١) مناقب آل ابي طالب ـ وفيه احاديث كثيرة عن النبي (ص) في علي وفاطمة ·

ومرات · وهي تريدها لابيها ، فدفعت بأبيها للصلاة يوم كان النبي (ص) مريضا ·

وظهرت عائشة ولمع نجمها بولاية أبيها فكبر شانها ، وعظم خطرها وحين بويع الامام علي استشاطت غضبا وفارت احقادها وقالت :

ما لهذا يمتلك رقابنا ، ليت هذه أطبقت على هذه ·· مشيرة الى السماء والارض ·

وقد ارادت الخلافة لابن عمها طلحة فتعود الخلافة لبني تيم ·

وصاحت عند سماعها نبأ مبايعة علي بالخلافة :

واعثماناه ··· قتل عثمان مظلوما (١) ·

وقبلها كانت تقول : هذا قميص النبي لم يبل وقد أبلى عثمان سنته · بعد أن أخرجت قميص النبي (٢) ·

الناكثون :

وجدت عائشة في مكة بؤرة صالحة لتنشيط الفتنة اذ أن عليا وتر أهلها في بدء الدعوة ، وثكل بيوتها ·

(١) ويقول الدكتور طه حسين ، وكانت اشد الناس تحريضا على عثمان ـ يراجع الفتنة الكبرى ـ ج ٣ ـ علي وبنوه ص ١١٩

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ـ ص ٤٥٨ ·

فما زالت بهم تؤلب فيهم الحميات الجاهلية ، والرواسب القبلية . وهم يجتمعون حولها ، والناقمون كثيرون . فقد خلف عثمان وراءه جيلا ناقما تعود على الباطل وعلى رأسهم بنو أمية ومن تابعهم ، وعمال عثمان والذين قربهم عثمان وأجزل عطائهم بلا حساب ، وعزلهم الامام علي جميعا .

وهؤلاء يملكون رؤوس الاموال . والضياع ، والقيان والعبيد ، فاستطاعوا بهذه العوامل ان ينفذوا الى سواد الناس . فاقبل عليهم خلق كثير بعد أن اغرتهم الاموال وزينة الدنيا ، فسواد المسلمين لم يكونوا من الوعي بدرجة تجعلهم يتخذون موقف المسلم الصحيح في مثل هذا الظرف وموقف الرجل العقائدي في موقع الاختيار .

ولمثل هذه الاسباب وغيرها التحق بعائشة وطلحة والزبير كثير من السواد في مكة خاصة واطلق عليهم اسم « الناكثين » .

وجدت عائشة وطلحة والزبير وبنو أمية أن مقتل عثمان مناسبتهم المنشودة وخير ما يتذرعون به ويستميلون الناس اليهم بالاضافة الى اموالهم والى أن عائشة زوجة النبي (ص) وتسمى بام المؤمنين .

وحاول هؤلاء الثلاثة ان يستميلوا بعض زوجات

النبي غير عائشة كحفصة بنت عمر بن الخطاب فاجابتهم ولكن اخاها عبيد الله منعها من ذلك (١) .

وذهبت عائشة الى أم سلمة فأخذت أم سلمة تعظها وتحاول أن تثنيها عن هذا الامر الذي تقوم به ووعظتها موعظة طويلة . ذكرتها بآيات القرآن ، وبنصائح النبي (ص) لها وكيف كان يحذرها من بغضها لعلي ويقول لها من بغض علي فما آمن .

وبينت لها مدى خطورة ما ستقدم عليه (عائشة) وانها سوف تقتل المسلمين وان دمهم في رقبتها . فقامت عائشة من عندها وفي نيتها العزوف عما عزمت عليه (٢) .

لكن طلحة والزبير استطاعا ان يثنيانها عما أضمرت في نيتها من التراجع . وسرعان ما اعاداها الى غوايتهما . فرجعت تولول وتطالب بدم عثمان ...

وما يذكره الرواة : ان عائشة اقبلت الى المدينة من مكة وهي لا تشك أن طلحة صاحب الامر (أي الخلافة) وكانت تقول بعدا لنعثل (عثمان) وسحقا .. ايه ياذا الاصبع (أي طلحة) ايه ابا شبل ، ايه يا بن عم ...

(١) اعيان الشيعة ص ٢٥٧ .
(٢) اعيان الشيعة ص ٢٥٠_٢٥٦ ، الامامة والسياسة ص ٥٦ .

الى آخر قولها الذي يدل على سرورها بمقتل عثمان ·

قالوا : ولما انتهت الى (مشرف) في طريقها الى المدينة لقيها عبيد بن كلاب ·

فقالت له : مهم (أي ما عندك) ·

قال : قتلوا عثمان ثم مكثوا ثمانيا

قالت : ثم صنعوا ماذا ·

قال : اخذها أهل المدينة بالاجماع فجازت بهم الى خير مجاز ، اجتمعوا الى علي بن ابي طالب ·

قالت : والله ليت هذه انطبقت على هذه (مشيرة الى السماء والارض) على ان تم الامر لهذا ، ويحك انظر ماذا تقول ـ فقد نزل عليها الخبر كالصاعقة ـ فولولت وقالت : قتل عثمان مظلوما ، انا طالبة بدمه ·

فقال لها عبيد : ان أول من طعن عليه واطمع الناس فيه لأنت ·

ولقد قلت : اقتلوا نعثلا فقد فجر (١) ·

ومهما يكن من أمر فقد استشرى بها الشر وجمعت من استطاعت ان تجمعهم وكانت أول صوت معارض ضد

(١) الامامة والسياسة ص ٥٢ ، تاريخ الطبري ج ٣ ـ ص ١٧٢ ·

امير المؤمنين · (عليه السلام) ، تطالب بدم عثمان ، والثأر له وتثير بذلك النعرة القبلية اذ أن المطالبة بالثأر شيء والقصاص شيء آخر ·

فالقصاص حد يقيمه الشرع الاسلامي ويخضع لقانون الاسلام اما المطالبة بالثأر والدم ، فيخضع للعصبية والقبلية والحمية الجاهلية ·

وأتهمت عائشة الامام علي (ع) بقتل عثمان وهي تطالب بدمه ··· ومن المعروف ان الامام علي دافع عن عثمان كثيرا ، وانه بعث بالماء اليه حين منعوا عنه الماء فبعث اليه الامام بثلاث قرب ، فمنعها عنه طلحة (١) · وكذلك عندما رمي عثمان بالسهام أصاب الحسن بن علي (ع) سهم منها فغضبه الدم وكان الحسن موجود للدفاع عن عثمان (٢) ·

الا ان عائشة استطاعت ان تنبش جذور الجاهلية بعدما دفنها الاسلام وقضى عليها قضاءا مبرما ، استطاعت ان تعيدها الى الوجود وأن تصقلها بأسم الاسلام فيظهر لها وجه جديد اكثر رعبا ·

(١) الامامة والسياسة ص ٢٨ ·

(٢) الامامة والسياسة ص ٢٨ ·

يوم الجمل :

تمخضت حركة عائشة فولدت ذلك اليوم المهول يوم الجمل · فقد صممت عائشة على الذهاب الى البصرة لتستزيد قوة . وقد كان لطلحة والزبير فيها اموال وقصور ضخمة وكلها من مكارم عثمان · ركبت عائشة بعيرها وسارت بالجيش قاصدة البصرة · في الوقت الذي كان الامام علي (ع) قد عزم على حرب معاوية لضلاله ·

وعندما بلغه خبر مسير عائشة ومن معها تجهز للسير الى البصرة ثم سار ومعه صحابة رسول الله والمهاجرون والانصار وعندما وصل الى ذي قار أرسل الى الكوفة عمار ابن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر الى ابي موسى الاشعري الذي كان عامل لعثمان على أهل الكوفة ·

جاء عمار ومحمد يستنفران اهل الكوفة لنصرة الامام لكن ابا موسى أبطأهم عن نصرته ، وأقنعهم بانه خير لهم ان يبقوا في منازلهم ·

فرجع عمار ومحمد وأخبرا الامام علي بما كان من أبي موسى . فبعث الامام علي ابنه الحسن بكتاب يشرح لهم فيه حقيقة الامر . وبغي طلحة والزبير ، واتخاذهما

عائشة فتنة للناس · ووصل الحسن (ع) الى الكوفة ومعه عبيد الله بن عباس و عمار وقيس بن سعد . فخطب الحسن فيهم وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين · فقال اهل الكوفة سمعا وطاعة واستنفروا للقتال (١) مع أمير المؤمنين . وكان مع الامام علي جماعته الذين اراد أن يحارب بهم معاوية ·

أما طلحة والزبير وعائشة فقد وصلوا البصرة بعد جهد جهيد اذ أنهم طول الطريق يختلفون مع بعضهم ، ويفد عليهم اناس فينصحونهم بأن يرجعوا وتلحق بهم جماعة وتتركهم أخرى ·

كما أن عائشة نفسها ارادت الرجوع الى مكة وأصرت على ذلك وحدث ذلك عندما سمعت كلابا تنبح · وهي على ناقتها ·

فقالت : أي ماء هذه ·

فقالوا : ماء الحوأب ·

فقالت : انا لله وانا اليه راجعون ، أني لهي ، وما أراني الا راجعة ·

قالوا : ولم ؟

(١) الامامة والسياسة ص ٦٥ ـ ٦٧ ·

قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول لنسائه كأني بأحداكن تنبحها كلاب الحوأب · وقال لي : اياك ان تكوني أنت يا حميراء · (كما كان يسميها رسول الله) ·

وعاد طلحة والزبير يقنعانها ، وحلف عبد الله بن الزبير انهم تركوا حوأب أول الليل ، وما زالوا بها حتى وصلوا الطريق يستحثون الخطى الى البصرة · وكان من يلقاهم في الطريق يسألها : الى أين ؟

فتقول : اطلب بدم عثمان ·

فيقولون لها : هؤلاء قتلة عثمان معك ، وأنت أول من طالبت بقتله ·

وفي البصرة انقسم الناس ، منهم مصدق « لام المؤمنين » عائشة ومنهم من يرى الحقيقة اوضح ما يكون . واختلف أهل البصرة بينهم وتقاتلوا ·

وذكروا انه لما اختلف القوم اصطلحوا على ان لعثمان بن حنيف دار الامارة ومسجدها وبيت المال ، وان لطلحة والزبير وأصحابهما ان ينزلوا حيث شاؤا حتى يقدم علي (ع) فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل الناس وان تفرقوا يلحق كل قوم باهوائهم . عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيه (ص) وأشهدوا شهودا من الفريقين

فانصرف عثمان فدخل دار الامارة وأمر أصحابه أن يضعوا السلاح وافترق الناس وكتموا ما بأنفسهم ، غير بني عبد القيس فانهم اظهروا نصرة علي وكان حكيم بن جبيل رئيسهم ، فاجتمعوا اليه فقال لهم : عثمان بن حنيف دمه مضمون وامانته مؤداة . وايم الله لو لم يكن علي اميرا لمنعناه لمكانته من رسول الله . فكيف وله الولاية والجوار فاشخصوا ابصاركم . وجاهدوا العدو · فاما ان تموتوا كراما واما أن تعيشوا احرارا ·

فمكث عثمان بن حنيف (والي البصرة) في الدار أياما ، ثم أن طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة منهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة ، وعثمان نائم فقتلوا أربعين رجلا من الحرس فخرج عثمان فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه ·

وذهب عثمان الى الامام وقال: ذهبت شيخا فرجعت أمرد ثم سار الامام حتى وصل البصرة ولدى وصوله حاول اقناع القوم ووعظهم لعل القضية تذهب وتمر دون حرب وسفك دماء ولكن القوم أصروا على بغيهم واستمروا في ضلالتهم وبغيهم فكانت الحرب التي أفنت خمس وعشرين ألفا من الطرفين وهم مسلمون . كل ذلك مرجعه أم المؤمنين ·

ولا يسعنا المقام للتفصيلات الكثيرة والمهمة بعض الاحيان . فنذكر فقط ان الفئتين التقيا ، فئة باغية ولا تريد ان تصلح وفئة قاتلت التي بغت حتى تفيء الى أمر الله ، ولا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

والجدير بالذكر أن الزبير ترك فئته الباغية قبل بدء القتال ، وقال لعائشة : يا اماه اني على باطل ، وقال لابنه عبدَ الله عليك حزبك . اما انا فراجع الى بيتي وقام ابنه بأمر الناس مكانه وأنصرف الزبير راجعا الى المدينة وفي الطريق اتاه ابن جرموز وقال له : خذلت عثمان وبايعت علي وأخرجت أم المؤمنين تبغي الفتنة ... الى آخر كلامه ثم غافله حتى قتله (١) .

وتقابل الجمعان وحاول أمير المؤمنين علي (ع) بشتى الوسائل ان يردع طلحة وعائشة عن غيهما فما سمعوا له ، فانتظر حتى يبدؤونه بالقتال كما هي عادته ...

وبينما الناس كذلك اذ رمي رجل من اصحابه فجيء به الى علي (ع) وقالوا له : يا أمير المؤمنين هذا أخونا قد قتل .

فقال علي : أعذروا الى القول .

(١) الامامة والسياسة ص ٧٣ .

فقال محمد بن ابي بكر : الى متى قد والله عذرنا ، واعذرنا ان كنت تريد الاعذار ، الى متى تستهدف نحورنا للقتال والسلاح ، يقتلوننا رجلا ، رجلا .

فقال الامام علي (ع) : قد والله اعذرنا أين محمد أبني .

فقال : ها أنذا .

فقال : أي بني خذ الراية ، فابتدر الحسن والحسين اليها ليأخذاها فأخرهما عنها .

وقال ابن ابي الحديد كان يؤخرهما حتى لا ينقطع بهما نسل رسول الله (ص) .

الحرب طاحنة وعدد الباغين يزيد على عدد جيش الامام علي (ع) واليوم الاول منها مهولا مروعا ، غلب فيه جيش عائشة .

وفي اليوم الثاني أتى طلحة سهم لم تعرف وجهته ، اصابه فمات منه .

يقال أن مروان بن الحكم هو الذي رمى طلحة بالسهم لكي يأخذ بالثأر منه لعمه عثمان (١) .

(١) اعيان الشيعة ص ٢٨٩ ـ ج ١ .

وقال ابن قتيبة : لما رأى طلحة ان الدائرة دارت عليهم رفع يده الى السماء ، وقال : اللهم ان كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه فخذ له منا اليوم ، فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه (١) ·

نزل الامام علي الى الساحة فانكشف جيش عائشة ·

وقيل عن هذه الحرب انها كانت مروعة اكثر من أي حرب لكثرة الذين قتلوا فيها ·

ودارت دائرة السوء على الفئة الباغية ، وانتصرت الفئة الصالحة وأمر الامام علي (ع) المنادي فنادى : لا يقتلن مدبر ولا يجهز على جريح ؛ ولكم ما في عسكركم وعلى نسائهم العدة ، وما كان لهم من المال في اهليهم فهو ميراث على فرائض الله (٢) ·

وأمر الامام محمد بن ابي بكر ان يرحل بأخته ويرسل معها من يحرسها ·

هكذا هزمت الفئة الباغية ولم تفيء الى أمر الله،ولم

(١) الامامة والسياسة ص ٧٧ ·
(٢) نفس المصدر ·

يكن الدين كله وبقيت الفتنة تعشش في الاوكار وتنفث السموم ·

معاوية والامام : ـ

قد سبق القول ان الامام (ع) كان يعد العدة لمحاربة معاوية الذي استعصى عليه ورفض ترك الشام ولم يبايع ·

ثم انشغل عنه بطلحة والزبير وعائشة ، فكانت فرصة جيدة لمعاوية ، ضمن خلالها اهل الشام وزيف الحقائق امامهم ليكرهوا الامام (ع) ، وهم لا يعلمون شيئا عما جرى، ويجري وراء الغيوم السوداء التي كانت تلبد الجو واستطاع معاوية أن يماحق أهل الشام ويجذبهم اليه لقلة خبرتهم بالدين الجديد ، وبعدهم عن مدينة رسول الله ·

وأرسلت نائلة بنت الفراقصة وهي زوجة عثمان الى معاوية تصف له مقتل عثمان وكيف مثل به ، وارسلت مع كتابها هذا قميص عثمان مضرجا بالدم ممزقا من الطعنات ، وأرسلت بالخصلة التي نتفها الرجل المصري من لحيته فعقدت الشعر في زر القميص (١) ·

(١) الامامة والسياسة ص ٤٤ ·

فكان معـــاوية يصعد المـنبر كل يوم ويصف مقتل عثمان ويستجدي عواطف الناس ويبكي وهو يصف لهم حالة الخليفة المقتول حتى يبكيهم ·

وهكذا استطاع ان يجعل أهل الشام ناقمين على قتلة عثمان يطالبون بدمه ويستعدون للثأر ·

وادخل معاوية في روعهم ان الامام علي واصحابه هم الذين قتلوا عثمان ·

واستطاع خلال فترة حرب الجمل أن يكتسب قلوب اهل الشام وطاعتهم العمياء ·

وكان صوت عائشة المعارض ، وفعلتها تلك في حرب الجمل حيث تقاتل المسلمون نصرا كبيرا لمعاويـة · اذ اظهر جزعا على المسلمين الذين قتلوا ، فاستطاع بذلك أن يستميل « القاسطين » اولئك الحائرون الذين وقفوا مذهولين ينظرون الى تقاتل المسلمين في حيرة لان الحق أضاعته عليهم عائشة وطمست ابصـــارهم لانها زوجة النبي ليس الا ····

ولكنهم لم يجرؤا ان يقاتلوا معها عليا لان الحق معه وهو مع الحق · فوقفوا مكتوفي الايدي وقد راعتهم تلك الحرب · ودوختهم تلك الاحداث فلم يعودوا مبصرين ولا يعلمون الى اين يذهبون ·

واستطاع معاوية بدهائه ان يستميلهم مرة بالمـــال ومرة بالوعود ويثير فيهم الجشع والشهوات وشراهة حب الدنيا ·

وبالاضافة الى هؤلاء كان هناك الذين فروا من حرب الجمل ونجوا لان الامـــام لم يتعقبهم ، ولـم يقتل مدبرا منهم ، ولم يجهز على جريح وأيضا الاسرى الذين اطلقهم الامام كرمـــا منه ورأفة · كل اولئـــك لاذوا بمعاوية فآواهم وضمهم اليه ·

وهكذا نجد ان معاوية كـــان يبحث عن الفارين من وجه العدالة والذين عليهم حقوق نحو الاسلام والمسلمين ولم يؤدوها ·

فهذا قاتل فار ، وهذا ناكث عهد ، وهذا ســـارق من بيت المال وهذا عليه دين لبيت المـــال ، وهذا مغتصب حق ····· وما اكثر هؤلاء وكانوا يعيشون في ظل عثمـــان وولايته ويتنعمون ، أما في عهد علي بن ابي طالب (ع) فلن يكون لهم غير القصاص · فهم يعلمون ان الامام سوف يطاردهم ولا بد ان يقتص منهم ·

تجمع لدى معاوية كل الجباة فآواهم وأغدق عليهم، وأصبح معاوية يشكل قوة ·

اما امير المؤمنين (ع) فانه لن يبدأ بالقتـــال ، لان ذلك ليس من شيمه ، فكـانت فرصة أخرى لمعاوية لكي يعد نفسه ويستكمل قواه ·

وبقي الامام (ع) سنة كاملة ينصح معاوية ويحاول أن يثنيه ويرجعه الى الصواب · ويقول الطبري :

« حيث ان الحرب بينهما كانت سـنة ٣٦ هـ ، وجرت الموادعة بينهما في بداية سنة ٣٧ هـ » ·

كان علي عليه الســلام خـلال هذه الفترة يراسله ويحاجه ويرمي عليه البينة (١) · ومعاوية مسرور لذلك ، فيستغل هذه الفترة ليتقصى فيها اخبار المشردين والناقمين من المنافقين والجباة وكل من قتل الامام أحدا من اقـاربه ، يدعوه اليه ويعزيه ويثير حميته ويطلب منه أن يأخذ بالثأر فكان يكتب لهم باستمرار · وقد كتب الى اهل المدينة وأهل مكة بصورة خاصة · وكتب لبعض الصحابة ايضا ·

ولم يستجب لمعـــاوية أغلب هؤلاء ومن جملتهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وسعد بن ابي وقاص ، ومحمد بن مسلمة الانصاري وغيرهم ···

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ٢ ·

ومن يطلع على كتب ذلك الجـــائر يجد في اسلوبه مكرا ودهاء لم يسمع بمثله من قبل ، فهو يكتب لكل منهم بأسلوب فمنهم من يمنيهم بالخلافة كـابن عمر وسعد ، ومنهم بالمال والجاه ومنهم بالدين والاسلام ايضا · !!

ومن يقرأ لـه يتبين وراء كلمـــاته شرا مستطيرا يضمره وخبثا ولؤما لا تسعه الارض ···

ولا عجب في ذلك فهو الطليق وابن الطلقاء ويكفيك عنه خبرا أن أمه هند آكلة الاكباد ·

ومن جملة الذين استجابوا لكتابته عمرو بن العاص وكان عثمان قد عزله عن ولاية مصر ، فأقام بفلسطين وكان يحرض على قتل عثمان كل من يراهم ما استطاع الى ذلك سبيـــلا وهو يقول كـــنت ألقى حتى الراعي فأحرضه على قتل عثمان ·

والطريف ان عمرو بن العاص استشار ابنيه عبد الله ومحمد بشأن طلب معاوية ، فاشار عليه عبد الله باتباع امير المؤمنين علي(ع)واشار عليه محمد باتباع معاوية فقال لهما : أما أنت يا عبد الله فأمرتني بمـــا هو خير لديني وآخرتي ، وامـــا انت يا محمد فأمرتني بما هو خير لدنياي بدون آخرتي ·

والتحق بمعاوية وطلب منه أن يوليه مصر اذا مـــا

صارت اليه ٠(١) لم يكن عمرو هو الوحيد الذي باع دينه بدنياه فكل من أتى معاوية فعل ذلك عن عمد واصرار ٠ وهذه النقطة مهمة جدا ٠ اذ انها هي الحرب الحقيقية التي كانت تطحن نفوس المسلمين ، وهذا الصراع بين الدين والدنيا هو الصراع الحقيقي بين علي ومعاوية ، وبين المسلمين انفسهم ٠ بدا هذا الصراع واضحا بعهد عثمان حيث ظهرت الفوارق الطبقية وظهرت طبقة تتمتع ببهارج الدنيا وزينتها وتلفت نظر المحرومين بشدة وتثير في نفوسهم الحسرة والحرقة ، واسشرى هذا الامر في زمن معاوية ٠ اذ اعطى له اكثر من صورة مغرية ٠

واننا لسوف نجد ان بعض اصحاب علي (ع) كانت تدور في نفوسهم تلك الافكار : ايبقون مع علي (ع) ولهم الدين والآخرة ، ام يذهبون الى معاوية حيث الدنيا ولذائذها ٠

وهنا نجد انه من الضروري الاطلاع على المحاورة التي دارت بين عمرو ومعاوية وكيف كان اتفاقهما اذا كسبا النصر على علي (٢) ٠ لولا خشية الاطالة ٠ هذا

(١) الامامة والسياسة ص ٦٩ ، تاريخ الطبري ج ٥ ــ ص ٢٣٣ ٠

(٢) يراجع اعيان الشيعة ج ٣ ــ ص ٣٢٤ ٠

ومن الجدير بالذكر أيضا : الكتب والمراسلات بين الامام ومعاوية حيث يظهر فيها اشياء كثيرة من مراوغة معاوية ومدى دهائه وتظهر حقائق عن مدى تصلب الامام وتمسكه بالحق (١) ٠

في صفين : ــ

جهز امير المؤمنين جيشه واعلن نفير الحرب بعد ان يئس من الاصلاح بغير السلاح وبعد ان وجد الحرب مفروضة عليه لا محالة ٠

جهز الجيش وقصد الشام وبلغ تعداد جيشه مئة وتسعين ألفا وفي رواية مائة وخمسين ألفا (٢) ٠

فجعل على المقدمة الاشتر النخعي وعلى سقاته شريح بن هانيء وعلى المهاجرين والانصار محمد بن ابي بكر وعلى أهل البصرة عبيد الله بن العباس وعلى أهل الكوفة عبد الله بن جعفر وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلى القلب الحسن بن علي (ع) وسار بجيشه الى أرض صفين ، وقد سبقه اليها معاوية لسهولة أرضها وسعة مناخها وقربها من الفرات ٠

(١) يراجع تاريخ الطبري في نهاية الجزء السادس ، والامامة والسياسة ص ٨١ وما يليها والتفصيل في اعيان الشيعة ٠

(٢) اعيان الشيعة ص ٣٢٤ ٠

وكان معاوية يقود جيشا عدده ثلاثة وثمانين الفا (١) . لكن الروايات تختلف في العدد فقيل ان أهل الشام يزيدون على أهل العراق وقيل العكس وقيل ان اصحاب معاوية مائة وخمسين ألف وكذلك اصحاب علي (ع) ولم نستطيع ان نتبين العدد الحقيقي .

ومهما يكن من ذلك فقد التقى الجمعان في صفين ، ويقول جندب بن عبد الله : انا لما انتهينا الى معاوية وجدناه قد عسكر في موضع سهل فسيح قد اختاره قبل قدومنا الى جانب شريعة الفرات ليس في ذلك الصفيق شريعة غيرها وجعلها في حيزه وبعث عليها أبا الاعور يمنعها ويحميها وطلب العراقيون الماء فمنعهم عنها جماعة معاوية ولما أشتد عطش الناس جاؤوا الى علي(ع) فأخبروه فأمر بمناجزتهم حتى يحصلوا على الماء ، فجاء الاشعث بن قيس الكندي وقال أنا أسير اليهم فقال علي: فسر اليهم ، فساروا وسرنا معهم حتى اذا دنونا من الماء ثاروا في وجوهنا ينضحوننا بالنبل طويلا ، ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم الى السيوف فاجتلدنا بها ساعة ثم أن القوم اتاهم يزيد بن المهلب بن أسد البجلي ممدا في الخيل والرجال ، فمدنا امير المؤمنين بالرجال وعليهم

(١) الامامة والسياسة ص ٨٦ .

شبث بن ربعي الريحاني فوالله ما ازاد القتال الاشدة وخرج الينا عمرو بن العاص ، يمد ابا الاعور بالقتال لما رأى الاشتر عمرو بن العاص يمد ابا الاعور ويزيد بن ربعي ، وطعنا ثم اضطربنا بالسيوف فصرنا عليه وصار الماء في ايدينا فقلنا والله لا نسقيهم ، فارسل الينا علي (ع) ان خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم فان الله نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم . (١)

ومكث القوم في معسكرهم يومين ثم بدأت المراسلات بين معاوية والامام محاولة من الامام (ع) لحقن الدماء فلم يستنصح معاوية وكان يهين الرسل ويهدد .

فعاودوا القتال وكانوا يكرهون ان يلتقي جميع اهل الشام بجميع اهل العراق خوف الاستئصال والهلاك فيخرج واحد في جماعة من اهل الشام ويخرج اليه واحد في جماعة من أهل العراق ، ويقتتلان كل النهار وهكذا وبقوا على هذه الحالة أربعين ليلة . فلما رأى علي (ع) كثرة القتال والقتل في الناس برز يوما من الايام ومعاوية فوق التل فنادى باعلى صوته : يا معاوية . فأجابه فقال : ما تشاء يا ابا الحسن . قال علي : علام يقتل الناس ويذهبون على ملك ان نلته كان لك دونهم

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ـ ص ٢٤٠ـ٢٤٢ .

وان نلته انـــا كان لي دونهم ، ابرز الي ودع الناس ، فيكون الامر لمن غلب ·

فقال عمرو بن العاص : انصفك الرجل يا معاوية ·

وضحك معاوية وقال : طمعت فيها يا عمرو ·

فقال عمرو : والله ما اراه يجمل بك الا المبارزة ·

فقال معاوية : ما أراك الا مازحا ·· نلقاه بجمعنا·

فقال عمرو : اتجبن عن علي وتتهمني في نصيحتي اليك ، والله لابارزن عليـا ولو مت ألف موتـة في اول لقائه ·

فبارزه ، ولـا هم به علي ، تلقـاه عمرو بعورتـه فانصرف عنه علي (ع) تكرما وولى وجهه دونه ، وكان علي عليه الســلام لم ينظر قط الى عورة أحد ، حياء وتكرما ، وتنزها عما لا يحل ولا يجمل بمثله كـرم الله وجهه » (١) ·

وذكروا أن عليا دعا زمر بن قيس فقال له : سر في بعض الخيل الى القطقطانة ، فاقطع الميره عن معاوية ولا تقتل الا من يحل لك وضع السيف مكانه ، فبلغ معاوية ذلك فدعا الضحاك بـن قيس فأمره أن يلقى زمر فسار

(١) الامامة والسياسة ص ١٠٧ ·

الضحاك فلقيه ، فهزمه زمر وقتل من اصحـــابه وقطع الميرة عن اهل الشـــام ورجع الضحاك مهزوما ، فجمع معاوية اهل الشام فقال لهم:اتاني في ناحية من النواحي امر شديد فقالوا له : لسنا في شيء مما أتاك انما علينا السمع والطاعة ·

وبلغ عليـا قول معـاوية وقول أهل الشـــام فجمع اصحابه وقال ايها الناس انه اتاني خبر من نـاحية من النواحي ·

فقال له ابن الكواء واصحابه : ان لنا في كل امر رأيا فما أتـاك فاطلعنـا عليه حتى نشير عليك · فقـــال الامام (ع) : ظفر والله ابن هند باجتماع اهل الشام له واختلافكم عليّ والله ليبلغن باطله حقكم · (١)

وبقي القتال مستمرا اربعين يوما،وفي رواية اعيان الشيعة ثلاثـــة أشهر تزاحفوا فيها خمسا وثمانون مرة وخاف معاوية ان يبايع القراء (٢) الامام علي فلجأ الى المكر والخديعة ·

فكتب معاوية في سهم : من عبد الله الناصح ، فاني

(١) الامامة والسياسة ص ١٠٧ ·

(٢) القراء هم قراء اهل الشام وقراء اهل العراق اعتزلوا القتال وكانوا ثلاثين الفا وعسكروا مقابل صفين ، وسينضمون الى الخوارج فيما بعد برواية اعيان الشيعة ·

اخبركم ان معـــاوية يريد ان يفجر عـــليكم الفرات فيفرقكم فخذوا حذركم ، ورمى بالسهم في عسكر على موقع بيد رجل من أهل الكوفة ·

وتداولته الايدي حتى وصل الى أمير المؤمنين فقالوا هذا رجل ناصح كتب نخبركم بما اراد معاوية ، وبعث معاوية مائتي رجل من الفعلة الى ضفة النهر بايديهم آلة الحفر ، وشرعوا يحفرون بحيال معسكر علي،فقال(ع): ويحكم انمـــا يريد ان يزيلكم عن مكانكم فقالوا له هم والله يحفرون الساعة فقال : لا تكونوا ضعفاء ، فقالوا والله لنرتحلن فان شئت فارتحل وان شئت فأقم، فرحلوا وصعدوا بعسكرهم وراء· وارتحل الامـــام آخر الناس وارتحل معاوية فنزل في معسكر الامام علي الذي كـــان فيه ، فدعا الامام علي الاشتر وقـــال : الم تغلبني على رأيي انت والاشعث . فقال الاشعث انا اكفيك يا امير المؤمنين مساويء ما أفسدت ·

فجمع كنده ، فلقوا معاوية وسط بني سليم واقفـــا على المـــاء وقد جاء آخر عسكره فقاتلوا قتالا شديدا وانتهى اوائل اهل العراق فنزلوا واقبل الاشتر في خيل فحمل على معاوية والاشعث يحاربه في ناحية فانحـــاز معاوية فراسخ (١) ·

(١) اعيان الشيعة ص ٢٩٥ ·

وجاءت سنة ٣٧هـ فتوقف القتـــال في أول شهر منها وهو شهر محرم وتوادع الجيشـــان وكانت بين الامام ومعاوية مراسلات ·

وكان الامام يريد ان يضع حدا لهذه المأساة الرهيبة ولكن بلا جدوى ·

وانسلخ الشهر الحرام وتقابل الطرفان فارسل الامام علي (ع) عدي بن حاتم الطائي ويزيد بن قيس الارجي وشبث بن ربيعي وزيان بن حفصة الى معـــاوية وجرت بينهم وبين معاوية محاججة ونقاش، ولم يعد معاوية عن رغبته فرجعوا وكان القتال ··· ·

ومرت ثلاثة أيام التقى بها الجمعان،شبت فيها معركة مريعة وحمي وطيس الحرب والامام علي يوصي كتائبه « الا انكم لاقوا القوم غدا فاطيلوا الليلة القيام واكثروا من تلاوة القرآن وسلوا الله عز وجـــل النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونـــوا صادقين (٢) ··· الى آخر كلامه ·

وكان لهذا الكلام وقع عظيم في النفوس ، ثم انصرف الامـــام فوثب القوم الى اسلحتهم يصلحونها ويتهيأون للحرب الفاصلة وفي الصباح زحف الامام بالناس وخرج

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ١٠ ·

اليه معاوية،فاقتتلوا قتالا شديدا نهارهم كله وانصرفوا في المساء وفي اليوم التالي كان القتال اكثر شدة واعظم هولا ، واستمر الليل وكثرت القتلى ، ومضى عمار بن ياسر ولم يرجع وعلم انه قتل ، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا ، وقد قال رسول الله ما قاله فيه • قال عمرو : وما قال فقال عبد الله : الم تكن معنا ونحن نبني المسجد وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين • فقال له رسول الله : ويحك يا ابن سمية أنت تفعل هذا رغبة في الآخرة و انت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية •

فقال عمرو لمعاوية ذلك فقال له معاوية : أنت شيخ أخرق (١) • حزن الناس على عمار حزنا عميقا • فلما كان اليوم التالي حمل أهل العراق حملة رجل واحد ، وانزلوا البلاء والفناء بكتائب معاوية ، وكان الامام علي معهم في المعركة لا يقدم على كتيبة حتى يكشفها ويهزمها ، حتى تراجع جيش معاوية وصعدوا الجبل ، ولما رأى ذلك معاوية قال معاوية لعمرو بن العاص يا عمرو ألم تزعم أنك في أمر قط الا وخرجت منه • قال : بلى قال معاوية : الا تخرج مما ترى ؟

قال عمرو : والله لادعونهم ان شئت الى أمر أفرق به

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ٢٢ •

جمعهم ، ويزداد جمعك اليك اجتماعا ، ان اعطوكه •

قال عمرو فأمر برفع المصاحف فترفع ثم تدعوهم الى ما فيها فو الله لان قبله لتفرقن عن جماعته ، ولان رده ليكفرنه أصحابه • فدعا معاوية بالمصحف ، ثم دعا برجل من أصحابه يقال له ابن هند فنشره بين الصفين ، ثم نادى الله . الله في دمائنا ودمائكم ، البقية بيننا وبينكم كتاب الله . فلما سمع الناس ذلك ثاروا الى علي ، فقالوا قد أعطاك معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله ما قبل منه، ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول بيننا وبينكم هذا المصحف ثم تلا « ألم تر الى الذين أتو نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم مغرضون » ثم نادى من لفارس الروم فقال الاشعث والله لا تأتي هذا ابدا ونرضى معك ، او نقاتل معك ، وتابعه اشراف أهل اليمن وركنوا الى الصلح وكرهوا القتال •

واختلف اهل العراق منهم من يقول نقاتلهم وانها خدعة ، ومنهم من يقول لا نقاتلهم وقد رفعوا كتاب الله، فأمر الامام ايقاف القتال حتى يتدبروا أمرهم ، وقاربت خطة عمرو ان تنجح ووجد معاوية ان الامام في موقف

(١) تاريخ الطبري ص ٢٢٧ •

حرج . فرأى أن يطلب منه ان يترك له الشام ومصر ويكفان عن بعضهما كما سبق فرفض الامام رفضا مطلقا ...

فالامام علي(ع) غير راغب بتوقف القتال الا ان أهل العراق فرضوا عليه ذلك .

وننقل عن الطبري نص ما حدث في شأن رفع المصاحف والتحكيم « قال ابو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب عن ابيه أن عليا قال : عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم فان معاوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط وحبيب بن مسلمة وابن ابي سرح والضحاك بن قيس ليسوا باصحاب دين ولا قرآن ، وانا اعرف بهم منكم ، فقد صحبتهم اطفالا ورجالا ، فكانوا شر أطفال، وشر رجال ، ويحكم انهم ما رفعوها ثم لا يرفعوها ولا يعلمون ما فيها وما رفعوها اليكم الا خدعة ودهنا ومكيدة .

فقالوا له : ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله عز وجل فنأبى ان نقبله .

فقال لهم : انما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فانهم قد عصوا الله عز وجل ، فيما امرهم ونسوا عهد الله ونبذوا هذا الكتاب فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السنبسي فى عصابته

ومعهما القراء : يا علي أجب الى كتاب الله عز وجل اذا دعيت اليه والا ندفعك برمتك الى القوم او نفعل كما فعلنا بابن عفان ، انه علينا ان نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه والله لتفعلها او لنفعلها بك .

قال : فاحفظوا عني نهي أيامكم واحفظوا مقالتكم لي ، أما أنا فان تطيعوني تقاتلوا ، وان تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم .

قالوا له : اما لا فابعث الى الاشتر فليأتيك ـ وكان الاشتر يقاتل وقد احرز النصر التام ـ فارسل علي الى الاشتر يزيد بن هانيء السبيعي : ان أتيني فاتاه فبلغه .

فقال الاشتر : قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك ان تزيلني بها عن موقفي ، فان رجوت ان يفتح لي فلا تعجلني ، فرجع يزيد بن هانيء الى عليّ فاخبره . فما هو الا ان انتهى الينا فارتفع الهرج وعلت الاصوات من قبل الاشتر ـ وهذا يعني انه انتصر على معاوية ـ فقالوا له (للامام) : ما نراك الا أمرته ان يقاتل ، قال (ع) : من أين ينبغي لي ان تردوا ذلك ، رأيتموني ساررته ؟ اليس !! انما كلمته على رؤوسكم ، وانتم تسمعون قالوا : فابعث اليه ليأتينك والا والله اعتزلناك ـ وكأنهم مصممون على غلبة معاوية لهم وانتصاره عليهم ـ .

فقال (ع) : ويحك يا يزيد قل له الي فان الفتنة قد وقعت فابلغه ذلك فقال (الاشتر) له : ألرفع المصاحف ، قال نعم ٠

قال : أما والله لقد ظننت حين رفعت انها ستوقع اختلافا وفرقه ، انها مشورة ابن العاهرة ، الا ترى ما صنع الله لنا ، اينبغي ان أدع هؤلاء وانصرف عنهم ٠

وقال يزيد بن هانيء فقلت له : أتحب انك ظفرت ها هنا وامير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه او يسلم ، قال : لا والله ، سبحان الله ٠

قال يزيد : فانهم قالوا لترسلن الى الاشتر فليأتيك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان ٠

فاقبل الاشتر حتى أنتهى اليهم ٠ فقال : يا اهل العراق يا اهل الذل والوهن حين علوتم القوم ظهورهم، وظنوا انكم بها قاهرون رفعوا المصاحف يدعوكم الى ما فيها وقد والله تركوا ما أمر الله عز وجل فيها ، وسنة من انزلت اليه (ص) فلا تجيبوهم ، أمهلوني عدوة الفرس فاني قد طمعت في النصر ٠

قالوا : اذا ندخل معك في خطيئتك ٠

قال:فحدثوني عنكم وقد قتل اماثلكم ، وبقي اراذلكم

متى كنتم محقين ، أحين كنتم تقاتلون وخياركم يقتلون فانتم الآن اذا أمسكتم عن القتال مبطلون ، أم الان انتم محقون فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم فكانوا خيرا منكم ، في النار اذا ٠ ؟

قالوا : دعنا عنك يا أشتر،قاتلناهم في الله عز وجل، وندع قتالهم في الله سبحانه ، انا لسنا مطيعيك ولا صاحبك فاجتنبنا ٠

فقال : خدعتم والله ودعيتم الى وضع الحرب فاجبتهم يا اصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا الى لقاء الله عز وجل فلا أرى فراركم الى الدنيا من الموت الا قبحا ٠٠٠ يا اشباه النبت الجلاله ، وما انتم برائين بعدها عزا ابدا ٠٠٠ فابعدوا كما بعد القوم الظالمون ٠

فسبوه وسبهم وضربوه وضربهم وصاح بهم الامام علي (ع) فكفوا ٠

وقال للناس : قد قبلنا ان يجعل القرآن بيننا وبينهم حكما ٠٠٠ (١) ٠

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ـ ص ٢٢٨ ٠

التحكيم : ـ

فجاء الاشعث بن قيس الى علي فقال له ما أرى الناس الا قد رضوا وسرهم ان يجيبوا الى ما دعوهم اليه من حكم القرآن فان شئت اتيت معاوية فسألته ، ما يريد فنظرت ما يسأل · قال ائته فسله · فاتاه فقال: يا معاوية لاي شيء رفعتم المصاحف · قال لنرجع نحن وانتم الى ما أمر الله عز وجل به في كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضون به، ونبعث منا رجلا ، ثم نأخذ عليهما ان يعملا بما في كتاب الله ، ثم نتبع ما اتفقنا عليه ·

فقال له الاشعث بن قيس : هذا الحق · فانصرف الى علي فاخبره الذي قال معاوية · فقال الناس : قد رضينا ·

فقال اهل الشام : انا قد اخترنا عمرو بن العاص ·

قال الاشعث (وهو من اولئك القوم الذين صاروا خوارج فيما بعد) : فانا رضينا بأبي موسى الاشعري ·

فقال الامام علي (ع) : فانكم ان عصيتموني في أول الامر فلا تعصوني الآن· اني لا أرى ان أولي أبا موسى، فقال الاشعث ، وزيد بن حصين الطائي ، ومسعر بن فدكي : لا نرضى الا به فانه كان يحذرنا ما وقعنا به ·

قال علي (ع) : فانه ليس لي بثقة وقد فارقني وخذل

الناس عني ، ثم هرب مني حتى امنته بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نوليه · قالوا : ما نبالي اكنت انت ام ابن عباس لا نريد الا رجلا هو منك ومن الآخر على السواء ·

فقال علي (ع) فاني جاعل الاشتر·

قال الاشعث : وهل سعر الارض غير الاشتر

قال الامام : قد ابيتم الا ابا موسى ؟· قالوا : نعم

قال : فاصنعوا ما أردتم ·

فبعثوا اليه وقد اعتزل القتال وهو يعرض فاتاه مولى له ·

فقال : ان الناس قد اصلحوا ·

قال : الحمد لله رب العالمين ،

قال : قد جعلوك حكما ·

قال : انا لله وانا اليه راجعون ، وجاء ابو موسى حتى دخل المعسكر وجاء الا شتر حتى أتى عليا ·

فقال : ألذني بعمرو بن العاص فوالله الذي لا اله الا هو لئن ملأت عيني منه لأقتلنه ·

وجاء الاحنف فقال يا أمير المؤمنين انك قد رميت بحجر الارض بمن حارب الله ورسوله ، أنف الاسلام ، واني قد عجمت هذا (أي ابو موسى) وحلبت أشطره

فوجدته كليل الشفر ، قريب المفو وانه لا يصلح لهؤلاء الا رجل يدنوا منهم حتى يبصر في اكفهم ، ويبعد عنهم حتى يصير بمنزلة النجوم منهم ، فان ابيت ان تجعلني حكما ، فاجعلني ثانيا او ثالثا ، فانه لن يعقد عقده الا حللتها ، ولن يحل عقدة الا عقدت له عقدة أخرى احكم منها ·

فأبى الناس الا ابا موسى (١) · وكتبوا كتاب المقاضات ووضعوا فيه اسما الحكمين وهما عمرو بن العاص وابو موسى الاشعري وأخذ الميثاق من الطرفين انهما آمنان على انفسهما حتى يتم التحكيم ، فان الامن والاستقامة ووضع السلاح بينهم اينما ساروا وعلى انفسهم واموالهم واهليهم وغائبهم وشاهدهم ولا يرداها في حرب ولا فرقة ·

وعلى عبد الله بن قيس (أي ابو موسى) وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكي في هذه الامة ولا يردها في حرب ولا فرقه حتى يعصيا ، وأجل القضاء الى رمضان · وان احبا أن يؤخرا ذلك على تراض منهما ، وان توفي احد الحكمين فان امير الشيعة يختار منهما ولا يألو من اهل العدل مكان عدل بين اهل الكوفة واهل

الشام ويأخذ الحكمان من ارادا من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة » (١) ·

ويا لهما من حكمان ، يريدان ان يحكما في أمر المسلمين ، ونحن في غنى عن التعريف بهما ومهما يكن من أمر فقد شهد شهود من أهل العراق على ذلك الكتاب وشهود من جماعة اهل الشام ·

وذهب الامام (ع) الى الكوفة وذهب معاوية الى الشام، وبقي كل في مكانه بانتظار ما سيأتي به التحكيم ·

وباشر الامام شؤون دولته خلال هذه الفترة فأرسل جعدة بن هبيرة المخزومي الى خراسان ، فانتهى الى (ابرسهر) وقد كفر اهلها وامتنعوا ، فقدم علي ، فبعث جليد بن مرة الربيوعي فحاصر أهل (نيسابور) حتى صالحوه وصالح (مرو) (٢) ·

وبقي الامام فترة الهدنة يصلح من شأن دولته ويكاتب العمال ويعرف عنهم اعمالهم ويوصيهم بالعدل وحسن التدبير

الى ان جاء وقت التحكيم فبعث الامام علي اربعمائة رجل عليهم شريح بن هانيء وبعث معهم عبد الله بن

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ٢٣٠ ·
(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ٣٦ ·

عباس وهو يصلي بهم ويلي امورهم ، وابو موسى الاشعري معهم · وبعث معاوية عمرو بن العاص في اربعمائة من اهل الشام فكان معاوية اذا كتب الى عمرو جاء الرسول وذهب وهو لا يدري بما جاء به وبما رجع ولا يسأله اهل الشام عن شيء ، واذا جاء رسول علي الى ابن عباس سألوه ما كتب فيك الى أمير المؤمنين · فقال ابن عباس : الا ترون رسول معاوية يجيىء ولا يعلم بما جاء ويرجع به ولا يسمع لهم صياح ولا لغط وانتم عندي كل يوم تظنون الظنون ·

والتقى عمرو وأبو موسى · فقال عمرو : يا ابا موسى الست تعلم ان عثمان قتل مظلوما · قال : أشهد ·

قال : الست تعلم ان معاوية من اوليائه ·

قال : بلى ·

قال : فان الله عز وجل قال (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا) ·

فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا أبو موسى ، وبيته من قريش كما علمت فان تخوفت ان تقول ولي ، ومعاوية ليس له سابقة فان لك بذلك حجة تقول اني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم ، والمطالب بدمه ،

الحسن السياسة ، الحسن الاسلوب والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوجة رسول الله (ص) ·

وقال له ان ولي معاوية اكرمك بكرامة لم يكرم مثلها خليفة (١) ·

وهذا الاسلوب الذي بدأ به عمرو بن العاص محبوك بدقة فائقة الذكاء ، وبمنتهى المكر والخداع · فهو بهذا الاسلوب يمهد الطريق لابي موسى فيوقعه بالفخ دون ان يحس او يدري ·

فعمرو يعلم عن غباء ابي موسى وبلهه الشيء الكثير ، فقد بدأه في المحاولة لاقناعه بخلافة معاوية ، وعمرو يعلم علم اليقين ان هذا ما سينكره أبو موسى انكارا شديدا ، لكنها طريقة للاطاحة بأبي موسى وجره الى الخديعة الكبرى ، فهو سوف يرفض خلافة معاوية ، ندان متساويان فكلاهما يريد الخلافة لنفسه وأن معاوية له مبرراته ودوافعه كما لعلي مبرراته وبما انه سيرفض مبرارته ودوافعه كما لعلي مبرراته وبما انه سيرفض خلافه معاوية ، سيرفض خلافه علي أيضا ·

وقد لاقت هذه اللعبة من نفس ابو موسى الضعيفة قبولا وعدم مماطلة ، وانطلت عليه بأسهل ما يكون ·

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ٣٧ ·

ولكي يؤكد عمرو على ابي موسى ان معاوية بمكان من الخلافة اغراه . وقال له : ان معاوية سوف يكرمك كرامة لم يكرمها خليفة وبذلك ساق ابا موسى الى اللعبة كما تساق الشاة الى المذبحة ·

ثم جرت محادثات بينهما وبطبيعة الحال فان أبا موسى رفض عرض عمرو عليه ، بشأن تولية معاوية ولم يساومه فيه ولكنه فعل بالضبط ما أراده عمرو ، واقتنع ان علي ومعاوية ندان ·

بالاضافة الى ان أبا موسى يخزن في نفسه عداء لابي الحسن ويميل في أية حال الى عدم تولية الامام ويرجح احدا من اولاد عمر بن الخطاب ·

وطال الحوار بينهما والامة تنتظر مصيرها المشؤوم على يديهما ويا للألم ··· انهما سيمزقان الامة ويشتتان المسلمين ويبيعان الاسلام بأبخس الاثمان ·

ولنستمع الى الطبري وهو يحدثنا عن ما كان من مصير هذه الامة التعيسة والشقية بامثال معاوية وعمرو وابو موسى ، وما تخرج من امثالهم من مدرسة عثمان بن عفان ·

يقول الطبري : قال ابو مخنف ان عمرو وابا موسى التقيا في دومة الجندل واخذ عمرو يقدم ابا موسى في

الكلام ويقول له انك صاحب رسول الله (ص) وانت اسن مني فتكلم واتكلم أنا ·

فكان عمرو قد عود ابا موسى ان يقدمه في كل شيء، واراد بذلك كله ان يقدمه فيبدأ بخلع علي (ع) (١) ·

نعم هكذا كان عمرو يمد للعبة ، واطبقت الغطة على أبي موسى باحكام حتى أنه هو الذي بدا بما يريد ان يصل اليه عمرو ويبدأ به · اذ قال له عمرو: فما رأيك ؟

قال : ان نخلع هذين الرجلين ونجعل الامر شورى بين المسلمين فيختار المسلمون لانفسهم من أحبوا فقال عمرو فان الرأي ما رأيت (٢) ·

وكان ابن عباس قد أوصى أبا موسى بان لا يتقدم على عمرو لما ينطوي عليه عمرو من المكر والخديعة ، غير أن ابا موسى لم يستجب لهذه النصيحة وبقي مصرا على غيه مطبقا لهواه ·

وحين أقبلا ليقوما بما أتفقا عليه · قال عمرو تتقدمني وتبدأ أولا فانك صاحب رسول الله (ص) ولا يمكن ان أتقدمك فابتدأ ابو موسى فقال :

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ٣٩ ·
(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ٣٩ ·

ايها الناس : انا قد نظرنا في أمر هذه الامة فلم نر أصلح لامرها ولا ألم لشعثها من أمر قد جمع رايي وراي عمرو عليه ، وهو أن أخلع عليا ومعاوية ، وتستقبل الامة أمرها ، فيولوا من أحبوا عليهم واني قد خلعت عليا ، فاستقبلوا امركم واولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر أهلا ، ثم تنحى ·

واقبل عمرو بن العاص فقام مقامه وقال :

ان هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وانا أخلع صاحبه واثبت صاحبي فانه ولي عثمان وطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه ·

فقال له ابو موسى : مالك ؟! لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث ·

فقال له عمرو : وانما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا · ونشب الضرب بين القوم ·

هذا ما آلت اليه الامة الاسلامية من دمار وتلف · ومهزلة التحكيم الهي من أعظم مآسي التاريخ الاسلامي وما تزال تجر الويلات ورائها وتشتت المسلمين وتدمرهم ·

المارقون :

قبل التحكيم وبعده ، كان الامر أشد خطرا ونكالا ، اذ خرج على الامام علي جماعة من اصحابه هم الذين فرضوا عليه التحكيم ، وبعدها رفضوه ، وقالوا : لا حكم الا لله ·

أولئك هم المارقون الذين خرجوا عن خلافة امير المؤمنين وسموا بعد ذلك بالخوارج ·

ويذكر الطبري : لما قدم علي الكوفة وفارقته الخوارج ، ثبت اليه الشيعة فقالوا في اعناقنا بيعة ثانية نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت ·

فقالت الخوارج : استبقتم انتم واهل الشام الى الكفر ، فقال لهم زياد بن النظر : والله ما بسط علي يده فبايعناه قط الا على كتاب اللهو سنة نبيه ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت ، ونحن كذلك وهو على الحق والهدى ومن خالفه ضال مضل ·

وخرج اليهم امير المؤمنين حتى دخل اليهم فاتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فتوضأ فيه وصلى ركعتين وأمره على اصبهان والري ثم خرج حتى انتهى اليهم وهم يخاصمون ابن عباس فقال له انتهي عن الكلام ·

ثم تكلم ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : اللهم ان هذا مقام من افلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن نطق واودعيت فهو في الاخرة أعمى وأضل سبيلا ثم قال لهم من زعيمكم ؟

قالوا : ابن الكواء ·

قال علي (ع) : فما أخرجكم علينا ·

قالوا : حكومتكم يوم صفين ·

قال : انشدكم بالله ، اتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف قلتم نجيبهم الى كتاب الله ، قلت لكم : اني اعلم بالقوم منكم وانهم ليسوا باصحاب دين ولا قرآن واني صحبتهم اطفالا ورجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال ، امضوا على حقكم وصدقكم ، فانما رفع القوم المصاحف خديعة ودهنا ومكيدة ، فرددتم على رأيي وقلتم بل يقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي ومعصيتكم اياي · فلما أبيتم الا كتاب الله واشترطت على الحكمين ان يجيبا ما أحيا القرآن وان لا تخالف حكما يحكم به القرآن وان أبيا فنحن من حكمهما براء ، فقالوا له فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ·

فقال : انا لسنا حكمنا الرجال ، انما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، وانما ينطق به الرجال ·

قالوا : فخبرنا عن الرجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ·

قال : ليعلم الجاهل ويثبت للعالم ، ولعل الله عز وجل يصل في هذه الهدنة هذه الامة ، ادخلوا مصركم يرحكم الله ·

فدخلوا عن آخرهم وقالوا : صدقت قد كنا كما ذكرت ، وفعلنا ما وصفت ، ولكن ذلك كان منا كفرا ، فقد تبنا الى الله عز وجل ·

ولكنهم رجعوا الى غيهم مرة أخرى بعد التحكيم وكان أمير المؤمنين اذ ذاك يعد العدة لحرب معاوية والقضاء عليه قضاء مبرما فلا هدنة فيه ولا هوادة بعد الذي فعله ·

وجمع الخوارج جماعة كثيرة وكثر عددهم ، والامام علي (ع) مشغول عنهم باستنفار أهل العراق لمحاربة معاوية واعوانه فجمع أهل العراق وكان عددهم ثمانية وستين الفا وثلاث مائة رجل (١) ·

وقعة النهروان :

كان أمير المؤمنين (ع) قد عسكر بالنخيلة في طريقه

(١) الامامة والسياسة ص ١٤٩ ·

الى صفين ، وبانتظار أن يلتئم شمل جيشه ، فوصلته اخبار الخوارج وكان هؤلاء قد حاولوا ان يستولوا على المدائن ، فمنعهم اهلها عنها ·

ولم يأبه بهم الامام ، فهمه الوحيد القضاء على بؤرة الفساد والشر في الشام ·

لكن الاخبار التي وصلته اضطرته لمحاربتهم فقد وصله أنهم يعيثون في الارض فسادا ، وينشرون الخراب والدمار والقتل اينما يحلون ، ووصله انهم قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) وقتلوا امرأته وهي حامل وفي نهاية حملها ، فبقروا بطنها وذبحوها هي وزوجها على حافة النهر ثم قتلوا ثلاثة نساء فيهن ام سنان صاحبة رسول الله ، وكانوا يقطنون بمنطقة أسمها الحرورية ·

فقال اهل العراق للامام (ع) : أنذهب الى صفين فنترك هؤلاء وراءنا نخلفهم في اهلنا ، واملاكنا ، فسر بنا اليهم ·

فبعث اليهم الحارث بن مرة لينظر فيما بلغه عنهم ، فلما وصل الحارث قتلوه ، فقالوا لامير المؤمنين سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا من اهل الشام ·

فسار الامام علي (ع) حتى نزلوا المدائن وبعث

للخوارج وكانوا في النهروان ينصحهم وينهاهم ، فلم ينتهوا ، فخرج اليهم في النهروان سنة ٣٨ للهجرة (١)·

قال الثعلبي : لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معزى اتقت بفروها المطر ، ثم غطت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض علي بالقلب في السيوف والسلاح والرماح فلا والله ما لبثوا حتى صرعهم الله كانما قيل لهم موتوا فماتوا (٢) ·

هذا ما كان من أمر الخوارج فقد عصوا أمر الله ، فانزل الله بهم شر البلاء وسوء العاقبة ، وخسروا الدارين ·

وفر منهم شراذم توزعوا في البلاد وعظم أمرهم فيما بعد فكانوا اكبر خطر على الاسلام ، وبعد وقعة النهروان خطب الامام علي بأصحابه وهو مصدوم بهذه المآسي التي يمر بها وقد روعته الفتن التي انثالت على الاسلام · وطلب من اصحابه ان يقوموا من فورهم الى عدو الله معاوية بن ابي سفيان ، فيقضوا عليه كما قضوا على الخوارج ·

لكن اهل العراق عاودتهم تلك الصرعة المتمكنة منهم،

(١) الامامة والسياسة ص ١٤٩ ·
(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ـ ص ٤٥ ·

وطاوعوا انفسهم الخؤونة فطلبوا من امير المؤمنين ان يمهلهم فترة يرتاحون بها ويستميدون نشاطهم ويهيئوا اسلحتهم وانفسهم لحرب معاوية ولما رأى الامام (ع) منهم التباطؤ والخذلان تركهم لما يشاؤون وهو مكره ذلك ولا حول ولا قوة له الا بالله · واشترط عليهم ان لا يتباطؤوا اكثر وان يسرعوا في اعداد أنفسهم ويهيئوا عدتهم للقتال ·

وعسكر امير المؤمنين بالنخيلة ، وأمر الناس ان يلزموا معه المعسكر ويوطنوا انفسهم على الجهاد ، وان يقللوا من زيارة ابنائهم ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم في الشام ·

فاقاموا معه اياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ويتلذذون بنسائهم وابنائهم حتى تركوا عليا (ع) وما معه الا نفر قليل من وجوه الناس ، وترك المعسكر خاليا (١) ·

فنزل الامام علي (ع) اليهم فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ايها الناس استعدوا للمسير الى عدوكم في جهاده

(١) الامامة والسياسة ص ١٥٠ ·

القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده ، فاعدوا له ما استطعتم من قوة ورباط الخيل وتوكلوا على الله ، وكفى به وكيلا ...

ثم تركهم اياما ودعا رؤسائهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي ثبطهم ، فمنهم المعتل ومنهم المتكره ، واقلهم نشط ·

فقال لهم امير المؤمنين : عباد الله ما لكم اذا امرتكم ان تنفروا في سبيل الله اثاقلتم ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة بدلا ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا ، كلما ناديتكم الى الجهاد دارت اعينكم ، كانكم من الموت في سكرة ، وكانت قلوبكم قاسية فانتم لا تعقلون ، وكأن ابصاركم كمة فانتم لا تبصرون ، لله أنتم ما أنتم الا أسود رواغة وثعالب رواغة في غفلة ساهون ، ان أخا الحرب اليقظان ·

ايها الناس المجتمعة ابدانهم ، المختلفة اهوائهم ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا أنشرح قلب من واساكم ، كلامكم يوهي الصم ، وفعلكم يطمع فيكم الاعداء ، اعاليل بأضاليل ، هيهات لا يدرك الحق الا بالجد والصبر ، أي دار بعد داركم تمنعون ومع أي امام بعدي تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز لكم فاز بالسهم الاخيب ، اصبحت لا أطمع في نصركم ، ولا أصدق قولكم ، فرق

الله بيني وبينكم ، واعقبني بكم من هو خير لي ، اعقبكم بعدي من هو شر لكم ·

اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسبتا قاتلا ، وأثرة يتخذها الظالمون بعدي عليكم سنة تفرق جماعتكم ، وتبكي عيونكم ، ويدخل الفقر بيوتكم ، تتمنون والله بعدها لو رأيتموني وتنصروني · ستعرفون ما أقول لكم عما قليل (١) ··· الى آخر خطبته ·

لم يؤثر كلامه عليه السلام ولا بيانه ولا رشده ونصحه لهم · ولم يكتفوا بل طلبوا منه ان يعاملهم مثل ما يعامل معاوية اصحابه · اذ قال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين اعط هؤلاء هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي فمن يتخوف خلافة على الناس وفراقه ·

وقالوا له ايضا هذا الذي كان معاوية يصنعه بمن أتاه دائما عامة الناس هم الدنيا ولها يسعون · وقلتها يكدحون ، فاعط هؤلاء الاشراف فاذا استقام لك ما تريد عدت الى أحسن ما كنت عليه من الاسلام ·

فقال لهم : فوالله لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم،

(١) نهج البلاغة ·

والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وانما هي أموالهم (١) ·

ويا لسخرية الزمان أمن اميرا لمؤمنين علي بن ابي طالب يطلبون هذا !! · لكن هذه هي حقيقتهم ، انهم طبعوا على حب الشهوات والقناطير المقنطرة من المال وهذا جوهر المعركة التي كانوا يخوضونها مع امير المؤمنين (ع) ·

كان يقاتل في الناس حب الدنيا ولذائذها وزينتها وبهارجها لكي يستقيم في نفوسهم الايمان فيمنعون أنفسهم هواها ، ولا تعد تغريهم الدنيا ···

هذه هي معركة الامام علي عليه السلام التي أعد لها وخلق من أجلها ، وقد خاضها الامام ببسالة ، وبطولة منقطعة النظير · وانتصر الامام (ع) في هذه المعركة وسجل انتصارا رائعا وعظيما ودخل انتصاره ذاك التاريخ من أوسع ابوابه وافردت كتب التاريخ لذلك الانتصار أروع صفحاتها ، وما زال هذا الانتصار الحق هو الصرخة المدوية في وجه الباطل على مدى العصور وفي الدهور ·

نعم هذا هو انتصار الامام ، وذرة ذلك الانتصار ان

(١) الامامة والسياسة ص ١٥٣ ·

الحق لم يبق له صديقا ...

اولاء أهل العراق خذلوه وملأوا قلبه قيحا ... وها هو يقضي ايامه الاخيرة معهم وهم في شغل شاغل عنه ، مشغولين بدنياهم وهو بعيد أشد البعد عن دنياهم ، يؤنبها ويزدريها ويقول لها غري غيري ... وتمر به أيام ثقال فان مثله يحس بالزمن احساسا آخر ... فيا لقلة الزاد ... وبعد السفر ... ووحشة الطريق ...

ثم ان الامام (ع) مكث تلك السنة (سنة ٣٩ هـ) في الكوفة وهو على هذه الحالة ، ومعاوية سادر في غيه ، منغمس في طغيانه ، فقد دس السم للأشتر وقتل محمد بن ابي بكر ... وبعث جماعته الى البصرة ، وكان والي الامام عليها عبد الله بن عباس وقاضيها ابو الاسود الدؤلي ، وبعث جماعته الى المدينة ، وكان يتحرك بسرعة ونشاط .

ويمر الامام بجماعة ، فيقول أفيكم أشقاها الذي سيخضب هذه من هذه ويشير الى لحيته ورأسه .

ويقول : ما يمنع اشقاها ان يخضبها من فوقها بدم .

الفوز الاكبر :

ودخل الكوفة اشقاها ...

يقول الطبري : ان ابن ملجم ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمي ، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا على ولاتهم وقالوا لو شرينا انفسنا فأرحنا منهم البلاد ، وثأرنا بهم لاخواننا .

فقال ابن ملجم : انا اكفيكم علي بن ابي طالب .

وقال البرك بن عبد الله : انا اكفيكم معاوية بن ابي سفيان .

وقال عمرو بن بكر : وانا أكفيكم عمرو بن العاص .

فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله او يموت دونه ، فأخذوا أسيافهم فسموها ، واتعدوا لسبع عشر تخلوا من رمضان ، أن يثبت كل واحد على صاحبه الذي يطلبه .

أقبل ابن ملجم الى الكوفة ونزل في كنده وكان فيها خوارج من بني تيم الرباب ، ولقي فيها امرأة فائقة الجمال يقال لها قطام ابنة الشجنة ، وقد قتل امير المؤمنين أباها واخاها يوم النهروان .

فلما رآها ابن ملجم امتلكت عقله ونسي حاجته التي جاء لها . ثم خطبها فقالت : لا أتزوجك حتى تشفي غليلي .

قال : وما يشفيك ·

قالت : قتل علي بن ابي طالب ·

قال : فوالله ما جاء بي الى هذا المصر الا قتل علي فلك ما سألت ·

ثم جاءته بمن يساعده في هذا الامر ·

وفي فجر ليلة الجمعة من شهر رمضان المبارك سنة (٤٠) للهجرة كمن اللعين عبد الرحمن بن ملجم ومعه وردان واسيد بن بجرة واثناء الصلاة قام اليه ابن ملجم وضربه علىّ رأسه فشجت غرته ···

وعندما امسكوه وأتوا به الى أمير المؤمنين (ع) ·

قال : النفس بالنفس ان أنا مت فاقتلوه كما قتلني ، وان بقيت رأيت فيه رأيي (١) ·

بقي أمير المؤمنين بعدها ليلتين ، ثم قضى شهيدا ، اختاره الله الى جواره بعد أن أدى رسالته كل الاداء ···

وبذلك العناء الطويل الذي قضاه في حياته وبتلك الشهادة فاز أمير المؤمنين فوزا عظيما وتحقق له هذا النصر الباهر ·

أي ورب الكعبة لقد فاز ···

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ــ ص ٨٥ ·

وكان يوم شهادته ليلة احدى وعشرين من رمضان سنة (٤٠) هجرية (١) · وعمره يوم ذاك ثلاث وستون سنة على أرجح الروايات ·

أما اولاده وازاجه فهم :

« أول زوجة له فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول الله (ص) وسيدة نساء العالمين . ولم يتزوج عليها حتى توفيت . وكان له منها ولدان الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة . ويذكر أن لها ابنا ثالثا يسمى محسنا توفي صغيرا . وزينب الكبرى ، وام كلثوم الكبرى ، ثم تزوج أم البنين فولدت له العباس ، وجعفر وعبد الله. وعثمان . قتلوا مع الحسين عليه السلام بكربلاء · ولا بقية لهم غير العباس ·

وتزوج ليلى ابنة مسعود بن خالد . فولدت له عبيد الله . وابا بكر وقد قتلا مع الحسين بالطف · وتزوج اسماء أبنة عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمد الاصغر ·

وله (ع) من الصهباء وهي أم حبيب بنت ربيعة وترجع الى تغلب بن وائل . عمر ورقية ·

وتزوج (عليه السلام) أمامة بنت ابي العاص ابن ابي الربيع فولدت له محمد الاوسط · وكذلك للامام

(١) اعيان الشيعة ج ٣ ــ ص ٥٦٣ ·

محمد الاكبر الذي يقال له محمد بن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر ·

وتزوج أم سعد بنت عروة بن مسعود فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى ·

وكانت له (ع) بنات من امهات شتى لم يسم لنا اسماء امهاتهن ومنهن : « هانيء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، وأمامة وخديجة وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة » فيصبح جميع ولده (ع) لصلبه اربعة عشر ذكر وسبعة عشر امرأة وعدد ازواجه (عليه السلام) تسعة ··· (١) ·

امير المؤمنين والقرآن :

ان ما أنزله الله تعالى في كتابه الحكيم بحق وصي رسالته وأخ رسوله هو كثير من الايات نذكر بعضها :

١ ــ طوبى لهم وحسن مآب « الرعد : ٢٩ » ·

٢ ــ وصالح المؤمنين ــ وهو علي عليه السلام ــ « التحريم : ٤ » ·

٣ ــ والذي جاء بالصدق وصدق به ــ علي صدق

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ــ ص ٥٦٤ ·

بمحمد ــ « الزمر : ٣٣ » ·

٤ ــ افمن كان على بينة من ربه يتلوه شاهد منه ·

ــ رسول الله على بينة والشاهد هو علي ــ « هود : ١٧ » ·

٥ ــ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا « هل أتى : ٨ » ·

٦ ــ اني جاعلك للناس اماما ، وقال ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمون ، قال فجنبني وبني الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس · « البقرة : ٢٤ » ·

ــ قال النبي (ص) فانتهت الدعوة الي والى علي فلم نسجد لصنم قط ــ

٧ ــ قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى ·

ــ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امر الله بمودتهم · قال (ص) علي وفاطمة وولداهما ــ « الشورى : ٢٣ »

٨ ــ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنو ···

ــ قال النبي : نزلت في علي بن ابى طالب ·

٩ ــ قال رسول الله لعلي ان أمرت ان أدنيك ولا أقصيك وان تعي وحق لك أن تعي : فأنزلت الاية · (وتعيها اذن واعية) « الحاقة : ١٢ » ·

١٠ ـ فلما نزلت (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) ٠

ـ قال رسول الله نزلت بعلي (ع) ـ « الزخرف : ٤١ » ٠

١١ ـ افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ٠

ـ قيل نزلت في حق علي بن ابي طالب ـ « السجدة: ١٨ » ٠

١٢ ـ عن علي بن ابي طالب قال : لما انزلت (يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقه) قال رسول الله كم ترى دينار ؟ فقلت : لا يطيقون ٠

قال فكم ترى ؟ قلت : شعيرة ٠

قال : انك لزهيد ٠

فنزلت الاية (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) ٠ قال علي فيَّ خفف الله عن الامة ٠

وقال (ع) : آية لم يعمل بها أحد من الناس غيري (آية النجوى) كان لي دينار بعته بعشرة دراهم . فكلما اردت ان أناجي النبي تصدقت بدرهم . ما عمل بها أحد قبلي ولا بعدي ٠

١٣ ـ قال رسول الله (ص) لعلي : يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي عندك ودا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة ٠

فنزلت الآية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) ٠ « مريم : ٩٦ » ٠

١٥ ـ (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا أن يهدى) قيل نزلت بعلي (ع) ٠

وهذا بعض من الآيات وهناك الكثير غيرها (١) ٠

صفات الامام :

الحق ان الامام (ع) كان يتميز بصفات الانسانية مكتملة بشكل خارق للعادة ، والمتعارف عليها لدى الناس ٠

فقد حباه الله بذاته من تلك الصفات فعلي بن ابي طالب يعتبر المثل الاعلى بعد النبي (ص) للانسانية دون منازع فقد علا وتسامى بكل ميزة وصفة من صفاته ٠

ولسنا هنا في صدد معرفة ذلك وما هية شخصيته ٠ فان شخصيته لن ندركها بشكل متكامل ، هذه الشخصية

(١) يذكرها ابن المغازي في كتابه (مناقب آل ابي طالب) ويعدد اسانيدها ومن اخرجها من المحدثين ٠

الفريدة التي حيرت العقول ...

فنكتفي بالقول انه المثل الاعلى للانسان التابع في كل المجالات : في العلم فهو المعلم الاكبر ، وقد علمه رسول الله كل العلوم التي فتح الله ابوابها لنبيه الكريم وفتح ذهنية الامام على هضمها وتقبلها وكل ما يمكن ان تصل اليه البشرية من علم في حاضرها ومستقبلها ، لا يعادل شيئا من علم النبي الذي علمه لوصيه وأخيه علي (ع) ، لان هذا العلم هو علم رباني .

وفي البلاغة والبيان ، فهل عرف على مر العصور أبلغ من علي ، ... وفي الفضائل كلها ...

الرسول (ص) وعلي المثلان الوحيدان ...

انهما خزنة علم الله وحاملا رسالة الخلاص لكل البشرية وفي كل العصور هما قادة البشرية نحو كمال الانسانية ونحو الفضلية ونحو الجنة .

محمد صاحب الرسالة ومبلغها وعلي خليفته ووصيه عليها ليكمل الدرب من بعده .

وصدق رسول الله اذ قال :

قاتلت على تنزيله ويقاتل على تأويله . يقول ذلك وهو يشير الى علي .

فعلي (ع) هو الوحيد صاحب القيادة بعد النبي (ص) وهو الوحيد الاجدر بقيادة الامة والمسيرة بها نحو قمة المجد والسعادة فهو والنبي أبوا هذه الامة كما كان يقول له النبي (ص) :

« يا علي أنا وأنت أبوا هذه الامة » .

والدولة التي يرعاها النبي ويرعاها الامام علي هي الدولة الاسلامية الصميم ...

نهج البلاغة :

ماذا عساي ان أقول فيه . أأقول أنه كتاب ضم بين دفتيه بلاغة وعقل ونور وايمان وفهم الامام علي (ع) .

أم أقول انه نهج لكل شيء ، ونبراس لكل فهم . ان المدارس كثيرة ومتعددة ، لكن الحياة مدرسة المدارس ، ونهج البلاغة مدرسة الحياة .

انك ان تجلس وتغرس عينيك فيه تشعر بأنك اكتشفت شيئا وحصلت على فائدة جمة .

أما أن تغرس عينيك فيه ، ويتلقف روحك ويحتوي ذاتك ووجدانك ويحلق بانسانيتك في مجاهل الحياة الكثيفة العميقة فتعرف كل شيء ؟!!

لا لن يكون ذلك مجرد كتاب ، انه مدرسة ضخمة

التخصص تحصل منها على كل شيء سواء أخطر في عمق تفكيرك أم لم يخطر ·

ذلكم هو نهج البلاغة ، والقلم عاجز عن أن يصفه ، والقول فيه صعب وعسير ·

وكلام نهج البلاغة ثالث ثلاثة :

الاول : كلام الله جل شأنه وعزت قدرته ·

والثاني : كلام رسول الله (ص) ·

والثالث : كلام امير المؤمنين الذي نهل من تينيك المصبين حتى ارتوى واشبع · كذلك هو علمه · وكل صفاته ·

وقد كتب في نهج البلاغة ما لا يمكن حصره ، وألف فيه المؤلفون المجلدات الضخمة من يوم وجوده الى يومنا هذا بل ان الكتّاب قاطبة ينهلون من معينة الذي لا ينضب في كل موضوع يكتبون فيه ، يجدون في كلام أمير المؤمنين مبتغاهم ··· فهو الذروة في كل المجالات ·

وقد أثير حول نهج البلاغة أقاويل وأختلف فيه الباحثون ·

اختلفوا في أصله وهل هو جميعه للامام حقا ؟ واختلفوا في جمعه هل جمعه الشريف الرضي أم أخوه

الشريف المرتضى أم غيرهما ·

واختلفوا في مطالبه وكثرة علومه وترددت على السن الكثير من الباحثين انه ليس كله للامام ، وانما فيه المنسوب اليه ، ومنهم ابن ابي الحديد الذي قال : ان كلاما في نهج البلاغة منسوب للامام (ع) والمناقشات والبحوث في هذا الموضوع كثيرة · ناقشها المتقدمون والمتأخرون ، وردوا على بعضهم البعض ، وكلام كثير في هذا المجال لا يمكننا الخوض فيه (١) ·

وأخيرا لا بد أن نقف وقفة تأمل واكبار أمام احدى نماذج نهج البلاغة من خطب الامام علي (ع) في احدى المناسبات ولتكن كلمات امير المؤمنين (ع) خير ما نختم به الكتاب :

« الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل محدود ، فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح

(١) وفي كتاب مصادر نهج البلاغة واسانيده بحث طويل في هذا الموضوع وهو يذكر مثلا ان ٢٢ مؤلفا جمع نهج البلاغة قبل الشريف الرضي ويذكر كل الاسانيد وجميع الرواة للخطبة او الرسالة ··· فليراجع ·

برحمته . ووتد بالصخور ميدان أرضه ·

اول الدين كمال معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الاخلاص له . وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه . لشهادة كل صفة انها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد اشار اليه . ومن أشار اليه فقد حدّه ، ومن حده فقد عده ، ومن قال « فيمَ » فقد ضمنه ، ومن قال « علامَ »؟ فقد اخلى منه ···

كائن لا عن حدث . موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلـه . بصير اذ لا منظور اليه مـن خلقه ، متوحد اذ لا سكن يستأنس بـه ، ولا يستوحش لفقده · أنشأ الخلق انشاء ، وابتدأه ابتداء ، بلا رؤية أجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة احدثهـا ، ولا همامة نفس اضطرب فيها · أحال الاشياء لاوقاتها ، ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها ، وألزمها اشباحها ، عـالما بها قبل ابتدائها ، محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها ··· الى آخر خطبته وهي طويلة ·

والحمد لله رب العالمين

اولا وآخرا

مصادر الكتاب

١ ـ مناقب علي بن أبي طالب للمغازلي · طبعة المطبعة الاسلامية ـ طهران ·

٢ ـ كشف الغمة ج ٢ للمحقق الاربلي ـ مطبعة النجف·

٣ ـ الارشـاد للشيخ المفيد ـ الطبعـة الثالثة ـ مطبعة الفيحاء ـ دمشق ·

٤ ـ الغدير ج ٧ الطبعة الثالثة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت·

٥ ـ أعيان الشيعة ج ٣ ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة الفيحاء ـ دمشق ·

٦ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ـ طبعة مصر ·

٧ ـ سيرة الائمة الاثني عشر للسيد هاشم معروف الحسني ـ المجلد الاول ـ دار التعارف ـ بيروت ·

٨ ـ ذخائر العقبى للعلامة محي الدين الطبري ـ مكتبة

القدس بالقاهرة ·

٩ ـ الطبقـات الكبرى لابن سعد ، الجزء الثالث ، دار صادر ، دار بيروت ـ بيروت ·

١٠ ـ فضائل الخمسـة من الصحـاح الستة ـ للفيروز آبادي ـ طبعة الاعلمي ـ بيروت ·

١١ ـ منتخب كنز العمال ، للتقي الهندي ·

١٢ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ـ طبعة مصر ·

١٣ ـ خصائص النسائي ـ مطبعة التقدم ·

١٤ ـ حيـاة أمير المؤمنين علي بن ابي طـالب . للسيد محمد صادق الصدر ، الطبعة الثالثة ـ بيروت ·

١٥ ـ تـاريخ اليعقـوبي ـ الجـزء الثـاني ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ·

١٦ ـ اتبـاع الاسمـاع للمقـريزي ـ مطبعة التأليف والترجمة والنشر ·

١٧ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ·

١٨ ـ الامـامة والسيـاسة ـ الطبعة الثـالثة ـ مطبعة مصطفى بابي الحلبي ـ القاهرة ·

١٩ ـ الفتنـة الكبـرى ، د· طه حسين ـ دار المعارف

بمصر

٢٠ ـ النص والاجتهاد الطبعة الرابعة، مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ·

٢١ ـ السقيفة ، للشيـخ المظفر ـ الطبعة الرابعة ـ مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ·

٢٢ ـ بحث حول الولاية ، للسيد محمد باقر الصدر ·

٢٣ ـ الفصول المهمة ـ الطبعة الاولى ـ دار الزهراء ـ بيروت ·

٢٤ ـ علي ومناوئوه ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة النجاح ـ الدكتور نوري جعفر نوري بالقاهرة ·

٢٥ ـ الامام علي ·· بقية النبوة ـ عبد الكريم الخطيب مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ دار الفكر ·

٢٦ ـ نهج البلاغة ـ شرح الشيخ محمد عبده ·

٢٧ ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، للسيد عبدالزهرة الحسيني الخطيب ، طبع النجف ·

٢٨ ـ تاريخ الطبري ـ الطبعة الاولى ، المطبعة الحسينية بمصر ·

فهرست

المقدمة	٥
الفصل الاول	٩
الكعبة مولده	١١
الفصل الثاني	٢٣
المسلم الاول	٢٥
غزوة بدر	٤٥
غزوة أحـد	٤٦
غزوة بني نظير والاحزاب	٥٠
غزوة بني قريظة وذات السلاسل	٥٤
وقعة خيبر	٥٥
فتح مكة	٥٨
غزوة حنين	٥٩
غزوة تبوك	٦١
بعثة اليمن	٦٣
غدير خم وحجة الوداع	٦٤
بعثة اسامة بن زيد	٧٠
الفصل الثالث	٧٥
سفينة النكوص	٧٧
خلافة ابي بكر ·· والردة	٩٧
وفارقت الـحياة حبيبة رسول الله	٩٩
عمر بن الخطاب والحكم	١٠٣
شورى ابن الخطاب	١٠٨
الحكم ·· وعثمان بن عفان	١١٢
الفصل الرابع	١١٦
الناكثون	١٢٥
يوم الجمل	١٣٠
معاوية والامام	١٣٧
في صفين	١٤٣
التحكيم	١٥٦
المارقون	١٦٥
وقعة النهروان	١٦٧
الفوز الاكبر	١٧٤
امير المؤمنين والقرآن	١٧٨
صفات الامام	١٨١
نهج البلاغة	١٨٣

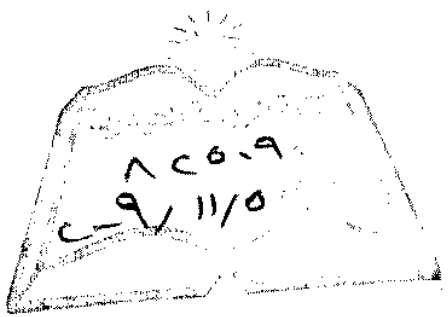
٨٤٥٠٩
ع ٩/١١/٥

هـذه السلسـلة

ائمة اهل البيت الاثني عشر خلفاء الرسول واوصياؤه على رسالته الرحيمة ـ رسالة الاسلام الخالدة ٠

وقد جاءت هذه السلسلة في وقت يجـد الجمهـور العربي المسلم نفسه في اشد الحاجة للتعرف علـى رسالة الاسلام المباركة ومبادئها المثلى بعد ان اتعبه واشقاه البحث عن البديل ٠ وبعد ان تيقن ان ليس كمثل الاسلام بديلا لاسعاد البشر ورفاههم واخلادهم في ذروة الانسانية ٠٠٠٠

وما حياة الائمة وسيرتهم ومواقفهم النضالية الرائعة ما هي الا المدرسة الاسلامية العظمى بل المدرسة الانسانية الكبرى فكـل لحظة عاشوها عبرة خالدة وموقف مخلـد للانسان والانسانية ٠ وكل لحظة كانت درسا من دروس الـدين الحنيف المستمد تعاليمه من جذور الشجرة المحمدية المباركة :

اذن فحياتهم (ع) هي الجامعـة الوحيدة في التاريـخ التي تخصصت في الرسالـة الاسلامية ومبادئها ومفاهيمها الاصيلـة الصحيحة ٠٠ وكـل ما يتعلق بها من نظـم شاملة كاملة لحياة الانسان ٠

فلكل من اراد استيعاب الرسالة الاسلامية الخالدة استيعابا ابتدائيا ، وصحيحا وواضحا وشامـلا ٠٠٠ نزف بفخر واعتزاز بشرى صدور هذه السلسلة ٠٠

الناشر